

الوصية
بين رواية العقل والإنكار والجهل

نجم مكوثر الحسناوي

الإهداء

إلى شعشة النجوم والمشكاة والقنديل ، إلى جلجلة الفوارس والتماعات
السيوف ، وزلزلة الملاحم وازدهارات الفتوح ، حرقتنا وآهاتنا عاشوراء والقتل
المحرّم ، إلى جوهرة الإمامة أبي عبد الله الحسين عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على أبي القاسم محمد وآله الطاهرين وبعد :

تبرز أهمية كتابة الوصية من خلال المعرفة بوجوبيتها وأنها تعدل الرسالة وصمام أمان من أي اختلاف خاصة إذا ما عرفنا أن الموصي هو رسول إله العالمين ، وأن تلك الوصية تصب في مصلحة وهداية الأمة وأمانها من الاختلاف .

والمنصفون وقفوا عند الأخبار المبهمة التي تروي تجاهل النبي صلى الله عليه وآله أمر المسلمين بعده متبعين الحق بعيداً عن التعصب والجهل بل إستناداً إلى الأدلة النقلية والعقلية والنظر فيها بموضوعية وانصافٍ ، لأنهم أيقنوا أن ديننا الإسلامي دين المنطق والدليل والبرهان لا دين التعصب والجاهلية ومتابعة السلف على الخطأ ، خاصة إذا ما وقفوا على ما ورد في روايات معتبرة مجمع عليها من القرآن والسنة بأنه صلى الله عليه وآله لم يترك أمته متحيرين في من يخلفه حتى ضرب بعضهم رقاب بعض وكذب بعضهم بعضاً وتفرقوا ثلاثاً وسبعين فرقة .

ولا بد للقارئ المُقارن أن لا يحاول اخضاع الحقيقة إلى رواسته ومعتقداته ، وأن تكون له القدرة على جمع الآراء المختلفة ، ويقف على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وأن يرتكز على العقل الناضج بخصوص فهم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله .

نبينا صلى الله عليه وآله رحيم لأهل ملته وشفيق على أمته ، أعقل العقلاء وأفضل الأنبياء ، إنه صلى الله عليه وآله حرّم على من حرّم من أمته أن يتركوا الوصية ، فكيف تقبل العقول أن من يُعلم الناس الوصية لمن يخلفونه يترك الوصية بهم ويتركهم مهملين وقد علم أنهم يختلفون بعد وفاته ويخالفونه .

فكثير من أخبار طوائف المسلمين - المخالفين لأهل البيت عليهم السلام - روت مكابرة أنه صلى الله عليه وآله ترك أمته بغير وصية ، ولم يجعل لهم من ينوبه فيهم وينظر في مصالحهم ، ولا اختار لرعيته أحداً يقوم مقامه ليختلفوا بعده وتختل أمورهم غاية الاختلال خلاف ما قام به خلفاء بعده جاءوا بالتعيين الذين لم يتركوا عباد الله مهملين كما تركهم نبيهم على حسب ما رووه ، كما

روت مصنفاتهم وصحاحهم أيضاً أحاديثاً وشواهد قرآنية تتضمن أخباراً صريحة بالوصية لمن يقوم مقامه وحذر وأنذر من الانقلاب بعده ومخالفة القرآن والسنة النبوية الشريفة .

وسوف نشرع في دراستنا هذه بذكر التناقض في الروايات الخاصة بالوصية وما جاء خلاف الوصية بمن يخلفه من بعده ، وبأنه صلى الله عليه وآله ترك الأمة التي اختارت بعده خلفاء لم يكونوا أهلاً لذلك المنصب في جميع صفاتهم ، وهو ما تناولناه في الفصل الأول وعنوانه تناقض الروايات في الوصية مقابل النصوص الصحيحة ، تناولنا مبحثاً في اختلاف الروايات بين الإنكار والإثبات ، ومبحثاً في تنزيه النبي صلى الله عليه وآله من إهمال أمر العباد بعده .

وجاء الفصل الثاني بعنوان البعد الرسالي العظيم للوصية والسعي لتغييبها ، وفيه مبحث في تكرار نصوص الوصية ومحاولة تحريفها كدلالة حديث المنزلة ودفع شبهات المخالفين ، ونصوص قرآنية ونبوية غير حديث المنزلة وآية البلاغ وحديث الغدير التي أفردنا إليها عناوين خاصة ، وفي هذا المبحث أيضاً تناولنا زيادة مهمة في حديث لم تروى في الصحيحين واستدركها علماء منهم وتتنص على الوصية في أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي نهاية المبحث خطبته صلى الله عليه وآله بعد الصلاة وفيها النص بالوصية .

أما المبحث الثاني ففيه مواضيع منها محاولة التأويل مقابل دلائل النص الجلية ، ومنها العصمة في آية التطهير ، وآية الولاية والإمامة العامة ، ومبحثاً في مصاديق تغييب الوصية وانكارها كمنع النبي صلى الله عليه وآله من كتابة وصيته ، ومنع الحديث النبوي .

وتضمن الفصل الثالث نظام الشورى ومخالفة النص ، ففي المبحث الأول الانقلاب على النص ، وفي المبحث الثاني استشراف النبي صلى الله عليه وآله لمخاطر نظام الشورى ، ومبحث النص ضمان لاستمرارية الدعوة .

أما الفصل الرابع فعنوانه الاحتجاج بالنص وإقرار المخالفين وعلماء المذاهب الإسلامية ، جاء المبحث الأول بعنوان إقرار المخالفين وعلماء المذاهب الإسلامية بالنص ، والمبحث الثاني احتجاج ومناشدة أمير المؤمنين عليه السلام .

الفصل الأول

تناقض الروايات مقابل النصوص الصريحة

المبحث الأول

١. اختلاف وتناقض الروايات بين الإنكار والإثبات

اختلفت الروايات والأحاديث في وصية النبي صلى الله عليه وآله بمن يخلفه في أمته وفي وصيه الذي يتولى أمور المسلمين العامة كحال الأوصياء الذين خلفوا الأنبياء قبله ، وهذا الاختلاف هو ما بين الصحيح الثابت في روايات المسلمين وما بين المحرف والمكذوب قصداً ، فطوائف من المسلمين نفوا وجود مثل تلك الوصية في خلافة صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب وأبناءه عليهم السلام مع وجود تلك النصوص الصريحة بذلك في تفاسيرهم وصحاحهم وكتب التاريخ والسير وغيرها ، ورووا أحاديث مخالفة ومتناقضة مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، تلك الأحاديث التي تبتعد كثيراً عن واقع ما نصه النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وأبناءه عليهم السلام وتتفي وجود وصية من هذا النوع على الرغم من أهميتها للأمة الإسلامية ، وخلافها ما بلغ شيئاً من رسالته كما جاء الأمر الإلهي في آية البلاغ يوم غدیر خم .

لا يخفى على مؤمن أن سائر القضايا التي يوصي بها أي من المسلمين يكون ملام في أدناها وأقلها أهمية إذا لم يُحسن وصيته فيها ، وبطبيعة الحال سوف تُشكّل هذه الوصية الناقصة ضرراً في رعيته أو أبناءه وخاصته الموصى إليهم فما حال لو ترك الوصية أصلاً .

إن التاويلات والقصص التي ابتدعوها مقابل نصوص القرآن والسنة النبوية لا تستقيم مع الواقع والثابت والصحيح من تلك النصوص ، وما قاله النبي صلى الله عليه وآله لا يشبه ما قالوه وألقوه في أمر الوصية ، فهم ذكروا أشياء ووصايا عامة أوصى بها النبي صلى الله عليه وآله بعيدة عن المصلحة الحقيقية للإسلام والرسالة والمسلمين ، ولا ترقى إلى مكانة النبي صلى الله عليه وآله ، وإن كانوا قد ذكروا في بعض المواضع من صحاحهم وكتبهم الأحاديث الصحيحة في الوصية واعترفوا بذلك ، ومنهم من تحامل بشدة على مخالفي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا أريد التوسع هنا بثبوت النص في حديث الغدير وغيره من أحاديث الوصية في الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وفي أولوية الإمام علي عليه السلام وتقديمه على كافة الصحابة لأننا سوف نفرّد لها مبحثاً خاصاً في فصل آخر ، وهذا الأمر قد أشبع من قِبَل الباحثين ، ورغم

كل ذلك نجد اختلافات وتناقضات كبيرة وكثيرة ، وتأويلات وافتراءات وأقاويل لا يقبلها العاقل لا بد لنا أن نشير إلى بعضها ، فأولوا على اختلاف تأويلاتهم وأحاديثهم التي يُسقط بعضها بعضاً ويضعف بعضها بعضاً .

فمنها ما اوردوه وأنكروا فيه الوصية محتجين بما رواه البخاري في صحيحه عن الأسود بن يزيد قال : ذكر عند عائشة أن النبي (صلى الله عليه وآله) أوصى إلى علي فقالت : من قاله ؟ ، لقد رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) وإني لمسندته إلى صدري فدعا بالطست فانخنت فمات فما شعرت ، فكيف أوصى إلى علي ؟ ^١ .

وهذا يتناقض ويتعارض مع ما رواه ابن عساكر وغيره عن عائشة في قولها : لما حضره الموت - أي النبي صلى الله عليه وآله - وهو في بيتي قال : ادعوا لي حبيبي ، فدعوا علياً فأتاه فلما رآه أفرد عليه ثوبه فأدخله فيه ، فلم يزل يحتضنه حتى قبض عليه ^٢ .

ومنها قولهم أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى في علي عليه السلام بولاية الدين وهو ما يتناقض مع أحاديث رويها ثبني أن ولاية علي كولاية النبي كما في صدر حديث الغدير " أليس الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا بلى ، قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه .. " ^٣ .

(١) صحيح البخاري : ١٤٤/٥ ، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٥/٣ ، ترجمة علي عليه السلام .

(٣) روى أحمد بن حنبل والحاكم الحسكاني وابن كثير وابن ماجة واليعقوبي والحاكم النيسابوري، أنه لما صدر رسول الله "صلى الله عليه وآله" في حجة الوداع نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة آية: (يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ ...) فنزل غدير خم من الجحفة وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام ووقف هناك حتى لحقه من بعده ورداً من كان تقدّم ونهى أصحابه عن سمرة متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهم ثم بعث اليهن فقمّ ما تحتهم من الشوك ونادى بالصلاة جامعة وعمد إليهن وظل الرسول "صلى الله عليه وآله" بثوب على شجرة من الشمس فصلى الظهر بهجير ثم قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول ، ثم قال: (إني أوشك أن ادعى فاجيب، وإني مسؤول وانتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون).

قالوا: نشهد أنك بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً.

قال "صلى الله عليه وآله" : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق. قالوا: بلى نشهد ذلك. قال "صلى الله عليه وآله" : (أيها الناس إني فرطٌ وانتم واردون عليّ الحوض وان عرضه ما بين بصري إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني مسائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله ؟

ورداً على ذلك نذكر ما قاله الشيخ عباس القمي في ترجمة حسان بلقب أو كنية " ذو الأكلة " بخصوص ذلك الموقف وتلك الوصية قال : فقول النبي صلى الله عليه وآله للجماعة "ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم " ، وقرارهم له بذلك ، ثم قوله صلى الله عليه وآله متبعاً لقوله الأول بلا فصل " فمن كنت مولاه فعلي مولاه " ، فهذا قرينة على أن المراد بالمولى الأولى، ولا ينكر ذلك إلا جاهل بأساليب الكلام، وأنه لم يردده ولاية الدين والنصرة والمحبة وولاء المعتق ولم يبقى إلا الأولى ، وقد ذهب جمع من المخالفين الى تجويز كون المراد الناصر والمحب، ولا يخفى على عاقل انه ما كان يتوقف بيان ذلك على اجتماع الناس بذلك في شدة الحر بل كان هذا أمراً يجب أن يوصي به علياً عليه السلام بأن ينصر، ويجب من كان الرسول ينصره ويحبه ولا يتصور في إخبار الناس بذلك فائدة يعتد بها، على ان الأخبار المروية من الطريقتين الدالة على أن قوله تعالى:

٨

قال: (كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنهما فتهلکوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم) ثم قال: (ألستم تعلمون أي أولى بالمؤمنين من انفسهم؟) قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: (ألستم تعلمون أي أولى بكل مؤمن من نفسه؟)

قالوا: بلى يا رسول الله.

ثم أخذ بيد علي "عليه السلام" فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض ابظيها، ثم قال: (أيها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبه وابغض من أبغضه).

ثم قال: اللهم اشهد.

ثم لم يتفرقا رسول الله "صلى الله عليه وآله" وعلي "عليه السلام" حتى نزلت هذا الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ثم قال رسول الله "صلى الله عليه وآله" : (الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة، ورضا الرب برسالتني والولاية لعلي "عليه السلام").

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له:

هنيئاً لك يا ابن ابي طالب، اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة وفي رواية اخرى قال له: بخ بخ لك يا ابن ابي طالب (مسند احمد بن حنبل : ٤/٤٨١ ، شواهد التنزيل : ١/١٥٧ ، ، البداية والنهاية في التاريخ : ٥/٢١٤ ، سنن ابن ماجه، باب فضائل علي "ع" : ١/٤٥ ، تاريخ اليعقوبي : ٢/٤٣ ، المستدرک على الصحيحين : ١٠٩/٣ .

وروى ابن حجر عن ابن عباس أن رسول الله "صلى الله عليه وآله" قال لعلي "عليه السلام" في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، أي لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، وقال له أنت ولي كل مؤمن من بعدي، وسد الأبواب إلا باب علي "عليه السلام" فيدخل المسجد جنباً، وقال من كنت مولاه فعلي مولاه " . (الإصابة، ج٤، ص٤٦٧) .

(التِيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) نزلت في يوم الغدير تدل على أن المراد بالمولى ما يرجع الى الإمامة الكبرى ، إذ أن ما يكون سبباً لكمال الدين وتمام النعمة على المسلمين لا يكون إلا ما يكون من أصول الدين بل من أعظمها وهي الإمامة التي بها يتم نظام الدنيا والدين وبالاعتقاد بها تقبل أعمال المسلمين ^١ .

وأضاف : ومما يدل على ذلك أن الأخبار الخاصة والعامة المشتملة على تلك الواقعة تصلح لكونها قرينة لكون المراد بالمولى ما يفيد الإمامة الكبرى والخلافة العظمى لا سيما مع انضمام ما جرت به عادة الأنبياء والسلطين والأمراء من استخلافهم عند قرب وفاتهم، وهل يريب عاقل من أن نزول النبي صلى الله عليه وآله في زمان ومكان لم يكن نزول المسافر متعارفاً فيهما حيث كان الهواء في غاية الحرارة حتى كان الرجل يستظل بدابته ويضع الرداء تحت قدميه من شدة الرمضاء، والمكان مملوء من الأشواك ، ثم أمر الناس يبايعون علياً عليه السلام لم يكن إلا لنزول الوحي الايجابي الفوري في ذلك الوقت لاستدراك عظيم الشأن جليل القدر وهو استخلافه ووجوب طاعته ^٢ .

قال العلامة الأميني : لم يستعمل هو مولى دين الله مكان ناصره ، ولا قال عيسى على نبينا وآله وعليه السلام : من موالي إلى الله مكان قوله : (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) ^٣ ، ولا قال الحواريون : نحن موالي الله بدل قولهم : (نحن أنصار الله) ^٤ .

وكذلك الأخبار الدالة على نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ^٥ في علي ، مما يعين أن المراد بالمولى الأولى والخليفة والإمام ومما يدل أن المراد بالمولى هنا الإمامة .

ونقتصر هنا على ما رواه المتقي الهندي في كنز العمال بطرق متعددة عن سعد بن أبي وقاص وعن

(١) الكنى والألقاب ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) آل عمران : ٥٢ .

(٤) الغدير : ٣٥٣/١ .

(٥) المائدة : ٦٧ .

ابن راهوية وعن جرير البجلي ، وعن جابر بن عبد الله ، وعن طريق جابر بن سمرة وعن علي بن ابي طالب عليه السلام ، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعن طريق زيد بن ارقم ، وعن عمرو بن مر وسعيد بن وهب وزيد بن يثيع قالوا :

سمعنا علياً (عليه السلام) يقول : " نشدت الله رجلاً سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول يوم غدیر خم ما قال لما قام ، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : " ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم " ، قالوا : بلى يا رسول الله ، فأخذ بيد علي (عليه السلام) وقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله " ، ثم قال المتقي الهندي : قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال اسناده ثقات ^١ .

٢. تصحيح الألباني لما أنكره ابن تيمية

من يتتبع أخبار وصحاح وروايات المذاهب الإسلامية يلحظ المدلسين الذين أنكروا بعض الفاظ حديث الغدير وغيره ، وكذبوا أحاديث مقطوع بصحتها ، فابن تيمية مثلاً حذف وانكر صدر حديث الغدير " ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم " لأنه يثبت بلا ريب ولاية وخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ، وكذلك من سخافة عقله ونصبه لأهل بيت النبوة منكراً هذه الفضائل الثابتة متهماً بخرافاته وأكاذيبه أهل البيت وشيعتهم ، وأيضاً كذب الحديث ^٢ ، ورده من هو من طائفته ومذهبه قال عنه بأنه متسرع ويبالغ في تضعيف الأحاديث الصحيحة .

فابن تيمية مثلاً في مجموعة الفتاوى قال : من كنت مولاه فعلي مولاه كذب لأن الحق لا يدور مع أحدٍ غير النبي وإذا صح فيكون الحق مع علي وعلي مع الحق ، ولو صح هذا الحديث للزم إتباع علي ^٣ .

(١) كنز العمال، ج١٣، ح٣٦٣٤٠، ح٣٦٤٢٠، ح٣٦٤٢٢، ح٣٦٤٣٣.

(٢) راجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني، المجلد الأول، ص ١٥٨.١٤، حيث انه روى عن ثلاثمائة وستين عالماً وستة وعشرين كتاباً من علماء العامة وكتبهم. وكذلك كتاب العلامة الشهيد نور الله التستري في كتابه احقاق الحق، المجلد الثاني، ص ٥١٠.٤١٥.

(٣) مجموعة الفتاوى : ٤ / ٤١٧ . ٤١٨ .

وفي منهاج السنة قال : حديث الموالاة قد رواه الترمذي وأحمد عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، وأما الزيادة أي قوله : " اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " فلا ريب أنه كذب ^١ .

وصحح الألباني الحديث قال : وللحديث طرق كثيرة جمع طائفة منها الهيثمي في المجمع ^٢ ، وقد ذكرت وخرّجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدنا بصحة الحديث يقيناً ، وإلا فهي كثيرة جداً ، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد ، وقال الحافظ ابن حجر : منها صحاح ومنها حسان ، وجملة القول أنه حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه ، بل الأول منه - أي أليس الله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم - متواتر عنه (صلى الله عليه وآله) كما يظهر لمن تتبّع أسانيد وطرقه ^٣ .

قال : ورأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعّف الشطر الأول من الحديث ، وأما الشطر الآخر زعم أنه كذب وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها والله المستعان ^٤ .

وصححه ابن كثير عن بريدة وقال : هذا إسناد جيد قوي رجاله كلهم ثقات ، وقال: قال الذهبي: صدر الحديث متواتر ^٥ .

٣ . تحامل الألباني على الشيعة وأئمتهم :

تحامل الألباني وغيره على الشيعة وبالخصوص على السيد عبد الحسين شرف الدين صاحب كتاب " المراجعات " ، مدعياً كذبه في كتابه هذا الذي يثير الخشية والريبة عندهم خوفاً من اطلاع عامة قومهم المضللين على الحقائق فيه ، فأبيح حديث كذب في المراجعات فجميع الأحاديث جاء بها من أسانيد وصحاح وكتب العامة ، وتقبّلها وصدّق بها شيخ الأزهر سليم البشري رحمه الله ، فكذب الألباني أحاديثه صلى الله عليه وآله في خلافة الوصي بدلائل ضعيفة واهية يخجل منها

(١) منهاج السنة : ٢٥٦/٤ .

(٢) مجمع الزوائد : ١٠٨١٠٣/٩ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٣٤٣/٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٤٤/٤ .

(٥) البداية والنهاية في التاريخ : ٦٦٨/٧ ، ٦٨٠ .

العقلاء ممن على مذهبه حتى من ليست له دراية بعلم الحديث منهم ، فهو كغيره يعتقد بما ارتكبه من حماقة وضلوا به من خبر بأن النبي صلى الله عليه وآله مات ولم يوصي بمن يخلفه ، وترك أمته بلا راعٍ ، وهذا كفر صريح وسوء ظن فضيع برسول الله صلى الله عليه وآله ، فهم ينقلون الأخبار والأكاذيب بلا تحقيق وتدقيق فيصعب عدّهم ضمن قائمة العلماء ، لأن العلماء يعتمدون على الدليل والإنصاف والتحقيق والمتابعة والتثبت في نقل أي شيء ، ومنهم من تعمد الافتراء والكذب يدفعه الحقد والتعصب ، ومنهم من يدفعه التساهل في قبول الأخبار وحسن الظن بكل راوي ، فمن جملة قوله :

أما ما يذكره الشيعة في هذا الحديث وغيره أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في علي (عليه السلام) : " إنه خليفتي من بعدي " ، فلا يصح بوجه من الوجوه ، بل هو من أباطيلهم الكثيرة ، التي دل الواقع التاريخي على كذبها ، لأنه لو فرض أن النبي (صلى الله عليه وآله) قاله ، لوقع كما قال ، لأنه وحي يوحى ، والله سبحانه لا يخلف وعده ، وقد خرجت أحاديثهم في ذلك الكتاب الآخر " سلسلة الأحاديث الضعيفة " في جملة أحاديث لهم احتج بها عبد الحسين في " المراجعات " بينت وهاءها وبطلانها وكذبه هو في بعضها ، وت قوله على أئمة السنة فيها ^١ .

وقوله في سلسلة الأحاديث الصحيحة : عبد الحسين الموسوي من متعصبة الشيعة في المراجعات قال (صلى الله عليه وآله) : " علي مني وأنا منه لا يؤدي عني إلا أنا أو علي " يوم عرفات من حجة الوداع وهذا لا أصل له مطلقاً في شيء من الروايات وإنما افترى هذه الزيادة تضخيماً للأمر وتهويلاً ، وقوله في حجة الوداع : " علي مني وأنا من علي " لم ترد في شيء من الطرق إلا طريق ابن عساكر الواهية ^٢ .

وجاء حديث " علي مني وأنا من علي " في تاريخ دمشق بعدة طرق ^٣ وليس طريقاً واهياً

(١) المصدر السابق .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٤ / ٦٣٢ في إيراده ح ١٩٨٠ .

(٣) منها عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي عن أبي محمد الجوهري عن أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير الصيرفي عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الملحمي عن إبراهيم بن عبد السلام الضرير عن عبد العزيز بن محمد القرشي عن اليزيدي عن المأمون حدثني شيخنا عباد بن العوام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال علي بن أبي طالب قال لي النبي (صلى الله عليه وآله) : " أنت مني وأنا منك " . (تاريخ دمشق : ٦٣/٤٢) .

واحداً على قوله وهو حديث مشهور قاله صلى الله عليه وآله في أزمنة وأمكنته مختلفة .

وروى الحديث أحمد في مسنده عن أبي اسحاق السبيعي عن حبشي بن جنادة قوله (صلى الله عليه وآله) وكان قد شهد يوم حجة الوداع : " على منى وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي " ، وقال ابن أبي بكير : قال صلى الله عليه وآله : " لا يقضى عني ديني إلا أنا أو علي " ^١ .

وفي كتاب الغدير قال العلامة الأميني : والحديث صحيح رجاله كلهم ثقات أخرجه بطرق أربعة أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في صحيحه وصححه وحسنه ، والنسائي في الخصائص ، وابن ماجة في السنن ، والبخاري في المصابيح ، والخطيب العمري في المشكاة ، والبيهقي في المغازلي في المناقب ، والكنجي في الكفاية ، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات ، والمحب الطبري في الرياض عن الحافظ السلفي ، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ، والذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة سويد بن سعيد ، وابن كثير في تاريخه ، والسخاوي في المقاصد الحسنة ، والمناوي في كنوز الدقائق ، وعن جمع كبير من العلماء غيرهم لمن أراد المعرفة والإطلاع على طرق هذا الحديث من كتب العامة ^٢ .

ويذكر الألباني بأن السيد شرف الدين الموسوي قال إن الحديث في سنن النسائي وأن النسائي لم يخرج الحديث في سننه إنما في الخصائص ^٣ ، وهذا تضليل آخر وعدم معرفة من الألباني لأن الحديث في سنن النسائي وقد أغفله الألباني .

وعن القاسم عبد الصمد بن محمد بن عبد الله عن علي بن محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن الصلت عن أحمد بن محمد بن سعيد عن يعقوب بن يوسف بن زياد الضبي عن عبيد الله بن موسى عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " علي مني وأنا منه " . (تاريخ دمشق : ٦٣/٤٢) .

وعن أبي عبد الله الحسين بن عبد الملك عن سعيد بن أحمد بن محمد عن أبي حفص عمر بن أحمد عن أبي عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي النوقاني عن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي عن عبيد الله بن موسى العبسي عن مطر الإسكافي قال سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " علي مني وأنا منه " . (تاريخ دمشق : ٦٣/٤٢) .

(١) مسند أحمد بن حنبل : ١٦٥/٤ .

(٢) الغدير : ٣٤٧/٦ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٦٣٢/٤ .

ففي سنن النسائي : أخبرنا أحمد بن سليمان قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق قال حدثني حبشي بن جنادة السلولي قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي " ^١ .

وفي سننه أيضاً حديث عن عمران بن حصين كما ذكرناه في أكثر من موضع وهو : عندما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سرية وقدم منهم أربعة لرسول الله وقالوا عليا فعل كذا وكذا فقال صلى الله عليه وآله : " دعوا عليا دعوا عليا إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي " ^٢ .

وأيضاً عن أبي سليمان الجهني وعن أبي اسحاق السبيعي عن البراء قوله (صلى الله عليه وآله) : " أنت مني وأنا منك " ، قال : ورواه القاسم بن يزيد الجرمي عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن هبيرة وهانئ عن علي (عليه السلام) ^٣ .

ومنها قوله في السنن أيضاً أخبرنا زكريا بن يحيى عن أبي عمر وأبو مروان قالوا حدثنا عبد العزيز عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن نافع بن عجير عن أبيه عن علي (عليه السلام) قوله (صلى الله عليه وآله) : " لا يؤدي عني إلا أنا أو علي " ^٤ .

وعندما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر ببراءة حتى إذا كان ببعض الطريق أرسل علياً فأخذها منه ثم سار بها فوجد أبو بكر في نفسه فقال : قال رسول الله " إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني " ^٥ .

حتى إنه يختلق قضايا تافهة على صاحب كتاب " المراجعات " بأنه رضوان الله عليه كان يسمى كتاب الترمذي بصحيح الترمذي وليس بسنن الترمذي والكتاب معروف بالجامع الصحيح لسنن الترمذي فما من شيء يدعو للإشكال على ذلك ، حتى أن السيد ابن طاووس سماه صحيح الترمذي وقال هو كتاب السنن ، وصحيح أبي داود قال عنه أيضاً هو كتاب السنن ^٦ .

(١) سنن النسائي : ٤٥/٥ ، ح ٨١٤٧ .
(٢) سنن النسائي : ١٢٦ /٥ ، ح ٨٤٣٥ .
(٣) المصدر نفسه : ١٢٧/٥ ، ح ٨٤٥٨ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه : ١٢٨ /٥ ، ح ٨٤٦٢ .
(٦) انظر الطرائف للسيد علي بن طاووس : ٢٧٧/١ .

٤ . أحاديث في وصية النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام وفي تركه الوصية

الأحاديث في استخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحصى ، ولا يجوز أن يمضي رسول الله صلى الله عليه وآله بغير وصي ، فالأنبياء كلهم مضوا بالوصية ، فوجب على نبينا صلى الله عليه وآله الاقتداء بهم في الوصية ، ومع كثرة الدلائل نرى انكار من أنكر خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد أوردنا البراهين من علماء المذاهب الإسلامية أكثر مما أوردناه من الإمامية ، فمنها في خلافته عليه السلام وأنه الوصي من بعده :

روى الحاكم الحسكاني عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال : " إن أخي ووزيري وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب " ، رواه جماعة عن عبيد الله بن موسى وهو ثقة ^١ .

وروى الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره قال: إن سفيان بن عيينة سئل عن قوله تعالى : (سأل سائلٌ بِعَذَابٍ)^٢ لم يسألني عنها أحد قبلك حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما كان بغدير خم نادي الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي (عليه السلام) وقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ناقه له فأناخ راحلته ونزل عنها وقال: يا محمد أمرتنا عن الله عز وجل أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلنا بك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، والصوم في رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت: " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، فهذا شيء منك أم من الله عز وجل؟ ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله عز وجل ، فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء وأثنتنا بعذاب أليم، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله تعالى بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله فانزل الله تعالى الآية ^٣ .

(١) المصدر نفسه : ٤٨٨/١ ، ورواه الذهبي في ميزان الاعتدال عن في ترجمة مطر بن ميمون المحاربي

. ١٢٧/٤

(٢) المعارج : ١ .

(٣) الكشف والبيان، ج٤ ، تفسير الآية من سورة المعارج .

واختلفت التأويلات بخصوص الوحي القرآني والحديث النبوي وكل فسرهما بما تقتضيه مصلحته وأهواءه ولأغراض شتى كما جاء في صحيح البخاري وتفسير البيضاوي والقرطبي وغير ذلك من التفاسير التي لا تتلائم مع حقيقة ما أجمعت عليه معظم كتب التفسير والحديث وغيرها .

فمثلاً القرطبي في تفسير قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ..) قال : هذا تأديب للنبي (صلى الله عليه وآله) وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئاً من وحيه ^١ .

ومن الاختلاف والتناقض في هذا الشأن وكشف واستدراك المنصفين منهم لما أنكروه من الحق وفي أمر الوصية ، يروي الحميدي في الحديث التاسع من المتفق عليه من مسلم والبخاري من سند عبد الله بن أبي أوفى عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي أوصى؟ فقال: لا ، فقلت : فكتب على الناس الوصية وأمر بالوصية ؟ ، فقال: أوصى بكتاب الله^(٢) .

قال الحميدي: وفي حديث ابن مهدي زيادة ذكرها أبو مسعود وأبو بكر البرقاني ولم يخرجها البخاري ولا مسلم فيما عندنا من كتابيهما، وهي : قال : وقال هذيل بن شرحبيل: أبو بكر كان يتأمر على وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ودّ أبو بكر لو وجد عهداً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فخرم أنفه بخزامة ^(٣) .

ومن المسائل المهمة نقرأها في الروايات وهي أننا نجد تساؤلاً صاغوه لإبعاد وتشيتت اذهان الناس عن أمر النص والخلافة بعده صلى الله عليه وآله ، وهذا التسائل أوردوه في أحاديثهم وهو : هل أوصى رسول الله ؟ ، يتسائلون عن أمر كان يجب أن يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله ويتوقعونه منه ويستغربون لأنه لم يوصي ، ويؤكدون رداً على هذه التساؤلات مرة بأنه ما أوصى

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٢/٦ .

(٢) صحيح البخاري : ٢ / ٤ ، ١٨/٦ . صحيح مسلم : ١٢٥٦/٣ .

(٣) الجمع بين الصحيحين ، ج ١ ، مسند عبد الله بن أبي أوفى ، ص ٥٠٦ . والزيادة وجدناها في سنن الدارمي ٢٩٠/٢ ؛ ومسند احمد ٢٨٢ / ٤ ؛ وسنن ابن ماجه : ٩٠٠/٢ .

بأي شيء ، ومرة أنه صلى الله عليه وآله أوصى بكتاب الله ، وأخرى أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد والثالثة سكت عنها أو قالها ونُسيت .

ففي الكامل لابن عدي بسندٍ عن بشر بن سعيد قال : سألت زيد بن خالد الجهني قلت : أوصى النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أحد ؟ ، قال : لا ^١ .

وفي مسند أحمد عن طلحة بن مصرف قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى هل أوصى رسول الله ؟ قال : لا ، قلت : فلم كتب على المسلمين الوصية ، أولم أمروا بالوصية ؟ قال : أوصى بكتاب الله ^٢ .

وفي موضع آخر من المسند زيادة على حديث طلحة بن مصرف هي : قال مالك بن مغول ، قال طلحة ، وقال الهذيل بن شرحبيل : أبو بكر رضي الله عنه كان يتأمر على وصي رسول الله ، ودّ أبو بكر أنه وجد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهداً فخرم أنفه بخزامة ^٣ .

ومما يؤكد ويثبت خلافة أمير المؤمنين من مسند أحمد بن حنبل الذي روى حديث الثقلين بلفظ يقطع بإمامة وخلافة أمير المؤمنين وأهل البيت صلوات الله عليهم وهو قوله صلى الله عليه وآله : " إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض " ^٤ .

وفي المسند أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : " أنت وليي في الدنيا والآخرة " ^٥ .

وقوله صلى الله عليه وآله : " أنت وليي في كل مؤمن بعدي " ^٦ .

(١) الكامل : ٢٤٣/٦ .

(٢) مسند أحمد : ٣٥٤/٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨٢/٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٨٢ /٥ .

(٥) المصدر انفسه : ٢٣١/١ .

(٦) المصدر نفسه .

وابن عدي عن أبي رافع عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي فمن تولاه أخللنا ومن أخللنا تولى الله " ^١ .

وقوله صلى الله عليه وآله : " من تولى علي بن أبي طالب فأحبه فقد تولاني وأحبني ومن تولاني وأحبني فقد تولى الله وأحبه " ^٢ .

فهل تقبل العقول أن ابن عمر يعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يعمل نبي الله بما جاء في سنته وهو الأسوة والقدوة للمسلمين ، فيروي البخاري وابن عدي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله في أمر الوصية قوله صلى الله عليه وآله : " ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلة إلا ووصيته مكتوبة عنده " ، قال ابن عمر : فما أتت علي ليلتان منذ سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وعندي وصيتي ^٣ .

وفي حديث أورده مصادره يستبعد تماماً استخلاف النبي صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام ، أو يستبعد بالأصل الوصية ويتسائلون لو كان النبي صلى الله عليه وآله مستخلف فمن يستخلفه ، فترجح عائشة فلان وفلان ، فعن أبي محمد عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة قال : سمعت عائشة وسئلت : من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت أبو بكر ، فقيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، ثم قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت أبو عبيدة بن الجراح ، ثم انتهت إلى هذا ^٤ .

وما رووه بشأن من لم يعدل بهم رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً لو كان قد أوصى واستخلف كما في حديث عائشة المتقدم نرى خلافه فيما رواه ابن مردويه المخالف لأهل البيت في كتاب المناقب بإسناده إلى علقمة والأسود عن عائشة قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في بيتي لما حضره الموت : ادعوا لي حبيبي فدعوت أبا بكر فنظر إليه رسول الله ثم وضع رأسه ثم قال ادعوا لي حبيبي فقلت ويلكم ادعوا له علي بن أبي طالب (عليه السلام) فوالله ما يريد غيره ، فلما رآه استوى جالسا وفرج الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه فلم يزل يحتضنه حتى قبض

(١) الكامل ١١٣/٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) صحيح البخاري : ١٨٦/٣ ؛ الكامل : ٢٦٨/٣ .

(٤) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، ١٨٥٦/٤ ، ح ٢٣٨٥ ؛ الجمع بين الصحيحين ، ٢١٥/٤ ، مسند عائشة .

ويده عليه . هذا لفظ الحديث المذكور من كتاب ابن مردويه ^١ .

وروى أيضا هذا الحديث جماعة من علمائهم منهم ابن جرير الطبري صاحب التاريخ في كتابه الولاية ^٢ ، والدار قطني في صحيحه، والسمعاني في الفضائل ، وموفق بن أحمد خطيب خوارزم عن عبد الله بن عباس وعن أبي سعيد الخدري وعن عبد الله بن حارث وعن عائشة وروى بعضهم في الحديث أن عمر دخل على النبي (صلى الله عليه وآله) بعد دخول أبي بكر فلم يلتفت إليه النبي وفعل معه من الإعراض عنه كما فعل مع أبي بكر ^٣ .

فكيف رجحتهم عائشة بأن النبي صلى الله عليه وآله يستخلفهم لو كان قد استخلف وأوصى وهو صلى الله عليه وآله لم يلتفت إليهم في مرضه عندما قال ادعوا لي حبيبي يقصد علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ .

ومن تلك الافتراءات قولهم أن النبي صلى الله عليه وآله ما أوصى ، وأنه ترك أمته بغير وصية ، ولا اختار لهم أحداً يقوم مقامه ، وتركهم يختلفون بعده ، أنهم رويوا عن مسروق عن عائشة قالت : ما ترك رسول الله ديناراً ولا درهماً ، ولا شاة ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء ^٤ .

ومن أحاديثهم عن الأسود بن يزيد قال : ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً ، قالت : متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري ، أو قالت : حجري ، فدعا بالطست ، فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنه مات ، فمتى أوصى إليه ^٥ .

تركوا المسلمين في حيرة من أمرهم عندما يجد القارئ هذه الأحاديث المنكرة لوصية النبي صلى

(١) مناقب علي عليه السلام : ٧٠ .

(٢) ذكر الكتاب السيد ابن طاووس في طرائفه وروى منه طرق حديث الغدير والكتاب مفقود الآن ، وقد روى منه ابن كثير وغيره بعض طرق حديث الغدير .

(٣) الطرائف : ١٥٥ .

(٤) صحيح مسلم : ٧٥/٥ ، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به ؛ الجمع بين الصحيحين ، ٢١٦/٤ ، مسند عائشة .

(٥) صحيح البخاري : ٣٥٦/٥ ، الوصايا ، ح ٢٧٤١ ؛ صحيح مسلم : ١٢٥٧/٣ ، الوصية ، ح ١٦٣٦ ؛ الجمع بين الصحيحين : ١٦٤/٤ ، مسند عائشة ، ح ١٤٥ .

الله عليه وآله ، ثم يجد في موضع آخر من صحاحهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله ترك بغلة بيضاء وسلاحاً وأرضاً فلمن أوصى بها ، يروي البخاري قال : حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا سفيان قال : حدثني أبو إسحاق قال سمعت عمرو بن الحرث قال : ما ترك النبي (صلى الله عليه وآله) إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً تركها صدقة^١ .

ويحтар المسلم وغير المسلم حينما يجد حديثاً بأن رسول الله صلى الله عليه وآله ما ترك شيئاً ولا أوصى بشيء ، ويجد في الصحاح نفسها أن عائشة قالت لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله استاذن أزواجه أن يمرض في بيتي ، وهو بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورواية نجد فيها ذكر بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، ويذكر عبد الله بن عمر أنه ارتقى سطح بيت حفصة ، وقول عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله أن رجلاً يستأذن في بيتك أي بيت حفصة وهو عم حفصة من الرضاعة ، ومن أخبارهم أن عائشة أخرجت نعلين يشهد أنس أنهما نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخرجت كساء ملبداً وقالت في هذا نزع روح النبي صلى الله عليه وآله ، وأنها أخرجت إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن ، وكساء من هذه التي يدعونها الملبدة^٢ .

فكيف ملكت عائشة الحجره بعده صلى الله عليه وآله ، وكيف استملكن زوجاته التسع بيوتهن ، ثم كيف تفردت عائشة بالحجره وبقية زوجاته في ميراثه ومن قسم ذلك لهنّ وخصصه بهن ؟ .

وأوردوا حديث ابن عباس الذي جاء في صحاحهم والمناقض لما رووه من اهمال النبي صلى الله عليه وآله للوصية ، فماذا أراد أن يكتب ومنعوه ، ولو كانت في شأن آخر غير خلافته ، فهو صلى الله عليه وآله قد همّ بالوصية وجاهد من أجل كتابتها بعد أن عهد إليهم بها في مواطن كثيرة وأحاديث صريحة ، لكنه صلى الله عليه وآله يعلم أن الحاجة اليه . أي الكتاب . بعد نص الغدير وغيره ما كان يستشعره النبي صلى الله عليه وآله من جحود القوم ، وما هو مكتوب أثبت مما ينقل على الأفواه ، وأن النبي صلى الله عليه وآله عدل عن كتابة الكتاب في رزية الخميس للشبهة التي أثاروها وتقبّلها بعض الحاضرين فاختلفوا فأمرهم بالخروج .

(١) صحيح البخاري : ٢٢٠/٣ ، كتاب الجهاد والسير .
(٢) صحيح البخاري : ٤٥/٤ ، ٤٦/٤ ، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وما نسب من البيوت إليهن ، ٤٧/٤ باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وآله .

وحديث ابن عباس هذا عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بل دمه الحصى ، فقلت : يا ابن عباس وما يوم الخميس ؟ ، قال اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه فقال ائتوني اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي فتنزعوا وما ينبغي عند نبي تنزع ، وقالوا : ما شأنه أهرج استقهموه ، قال (صلى الله عليه وآله) : "دعوني فالذي انا فيه خير أوصيكم بثلاث اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم " قال : وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتهما ^١ .

إنهم غرروا كثير من الناس بمقالات باطلة أوردوا فيها الشبهات وأتوا بأباطيل كثيرة ، وزادوا في الأخبار ونقصوا منها ، خاصة تلك الوصية الظاهرة التي تواترت بها الأخبار وتقررت في الكتب والآثار ودونت في الأشعار .

قال السيد علي بن طاووس : لقد ركب القائلون بذلك مركبا عظيما من البهتان لا يجوز أن يستحسنه أحد من أهل العقول والأديان ، فإنه لو لم يصفوه بما وصفوه من الشفقة عليهم والإحسان إليهم ولا رووا ما رووا من وصاياهم وكانوا لا يعرفون على الجملة ما جرت الحال عليه ، وجب أن يعتقدوا أنه أوصى وأنه لا يجوز وصفه أنه مات بغير وصية وقبل تعيين من يقوم مقامه سواء كان نبيا أو ملكا من الملوك ، فإننا ما عرفنا وما سمعنا أن نبيا قبله مات بغير وصية ، وما مات نبي إلا بعد أن عين من يقوم مقامه ، وكذلك الملوك إذا لم يحل بينهم وبين وصيتهم حائل ، فكيف أقدموا على تقبيح ذكر نبيهم ؟ ووصفوه بأنه ترك ما شهد بوجوبه كافة الأنبياء وأعقل العقلاء ^٢ .

وقوله : وهل بالغ نبي أو خليفة أو ملك من ملوك الدنيا في النص على من يقوم مقامه بعد وفاته أبلغ مما اجتهد فيه محمد رسول الله ؟ لكن له أسوة بمن خولف من الأنبياء قبله وله أسوة بالله الذي خولف في ربوبيته بعد هذه الأحاديث المذكورة المجمع على صحتها ^٣ .

(١) صحيح مسلم : ٧٥/٥ ، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه .

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٧٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٦٨/١ .

٥. افتراءات وتناقضات الذهبي وابن حجر

ومن ذلك محاولات بعضهم كالذهبي مثلاً في كتبه التي ما مر فيها على راوي حديث في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام إلا كذبه وضعفه ، وهي أحاديث يشد بعضها بعضاً ويقوي بعضها بعضاً ، وقد تحامل الذهبي كثيراً في كتاب له على الحاكم النيسابوري ونزى تدليسه واضحاً ، فكيف يصحح الحاكم أحاديثاً ثم يضعفها ، وإنما هذه من محاولات الذهبي وأمثاله لانزعاجه من مستدرك الحاكم ، فمنها قوله :

جمع أبو عبد الله الحاكم أحاديث ، وزعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم منها حديث الطير وحديث " من كنت مولاه فعلي مولاه " فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا إلى قوله .^١

ثم قال : عن أبي نعيم الحداد قال: سمعت الحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ ، سمعت أبا عبد الرحمن الشاذياخي الحاكم يقول : كنا في مجلس السيد أبي الحسن ، فسئل أبو عبد الله الحاكم عن حديث الطير فقال : لا يصح ، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي بعد النبي (صلى الله عليه وآله) .^٢

قال الذهبي : فهذه حكاية قوية ، فما باله أخرج حديث الطير في المستدرك ؟ فكأنه اختلف اجتهاده ، وقد جمعنا طرق حديث الطير في جزء ، وطرق حديث " من كنت مولاه فعلي مولاه " وهو أصح ، وأصح منهما ما أخرجه مسلم عن علي قال (صلى الله عليه وآله) : " إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق " ، وهذا أشكل الثلاثة ، فقد أحبه قوم لا خلاق لهم ، وأبغضه بجهل قوم من النواصب ، فالله اعلم .^٣

ومن ذلك التناقض والنصب قوله في فضل العشرة المبشرة بالجنة : فأبعد الله الرافضة ما اغواهم وأشد هواهم ، فكيف اعترفوا بفضل واحد منهم وبخسوا التسعة حقهم ، وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة ، وأنهم زوروا الأمر عنه بزعمهم ، وخالفوا نبيهم ، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تيم يتجر ويتكسب ، فوالله ما جرى من ذلك شيء^٤ .

(١) سير أعلام النبلاء : ١٦٨/١٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه : ١٤١/١ .

ويشهد في موضع آخر بأنهما نبذا نص النبي الله وراء ظهورهما ، ففي ترجمته لأبي حامد الغزالي قال : الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام اعجوبة الزمان صاحب التصانيف والذكاء المفرط ، مهر في الكلام ولازم إمام الحرمين برع في الفقه في مدة قريبة ، ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين الناظرين ، ولأبي المظفر يوسف سبط ابن الجوزي كتاب "رياض الافهام" في مناقب أهل البيت قال :

ذكر أبو حامد في كتابه " سر العالمين وكشف ما في الدارين " ، فقال في حديث " من كنت مولاه فعلي مولاه " أن عمر قال لعلي : " بخ بخ ، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة " ، قال أبو حامد :

وهذا تسليم ورضى ، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى حباً للرياسة ، وعقد البنود وأمر الخلافة ونهيبها ، فحملهم على الخلاف ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشترون ^١ .

وما اعجب هذا الإصرار والاستكبار ، ففي حديث يقولون أن النبي صلى الله عليه وآله ما أوصى بمن يخلفه في أمته ، وفي حديث نجاهه صلى الله عليه وآله يتمنى لو أمروا علياً لأنه يأخذ بهم الطريق المستقيم الذي ضلوا عنه بتأمر من هو أدنى منه بكل شيء ، فروى ابن حجر قال : في مسند أحمد بسند جيد عن علي قال : إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم ^٢ .

لقد كابروا كثيراً في افتراءهم على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه ما أوصى ، وكذبوا كل من أورد حديثاً بأنه أوصى في علي عليه السلام مع تواتر وصحة ما ورد في أحاديث الوصية والولاية والخلافة، ومن الغريب أننا نجد عندهم أحاديث كذبوها أيضاً في أن النبي أوصى لأبي بكر وعمر ، ونستغرب لماذا وضعوها ومن ثم أنكروها وكذبوها مع تكذيب بعضهم الصحيح من أحاديث الوصية في علي عليه السلام وأن النبي صلى الله عليه وآله ترك أمته بلا وصية وخليفة يرضى شؤونهم ويخلفه فيهم .

(١) المصدر السابق : ٣٢٨ / ١٩ .

(٢) الإصابة : ٤٦٨ / ٤ .

قال ابن حجر في ترجمة محمد بن ابراهيم السمرقندي الكسائي شيخ لأبي عمرو بن السماك ، حدث عنه بتلك الوصية المكذوبة عن النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) فلعله هو الذي وضعها ^١ .

وما قاله الشوكاني رحمه الله في رد المتعصبين منهم قال : اعلم أن جماعة من المبغضين للشريعة عدوا أن علياً عليه السلام وصي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من خرافاتهم ، وهذا تعنت يأباه الإنصاف ، وكيف يكون الأمر كذلك وقد قال بذلك جماعة من الصحابة ، كما ثبت في الصحيحين أن جماعة ذكروا أن علياً وصي وسارت به الركبان ^٢ .

والذهبي في ترجمة خالد بن عبيد أبو عصام قال : روى عن أنس وابن بريدة وعنه ابن المبارك وكان ذا وقار وجلالة ، وقال : قال البخاري : في حديثه نظر ، وقال الحاكم : حدث عن أنس بموضوعات ^٣ .

والإيكم الحديث المقصود وهو ما رواه الذهبي من صحيح ابن حبان ولم نجده في المطبوع من صحيح ابن حبان :

حدثنا عبد الله بن محمود ، حدثنا العلاء بن عمران ، عن أبي عصام خالد ، عن أنس ، عن سلمان عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي (عليه السلام) : " هذا وصيي ، وموضع سري ، وخير من أترك " ^٤ .

ولم أر مضمون هذا الحديث يختلف بشيء عن حديث الموالاة في الغدير " من كنت مولاه فعلي مولاه " في شأن الوصية والذي جمع طرقه الذهبي وغيره وصححوها ، والأولى أن لا تتأثر الشبهات حول حديث أبي عصام هذا بعد تسليمهم لقدح أبي حامد الغزالي بعمر الذي أورده في سير اعلام النبلاء وأنه - أي عمر - غلب عليه الهوى وحمل الأمة على الخلاف ^٥ .

(١) لسان الميزان : ٢٤/٥ .

(٢) العقد الثمين في اثبات إمامة أمير المؤمنين : ١٠ .

(٣) ميزان الاعتدال : ٦٣٥/١ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) انظر : سير اعلام النبلاء : ٣٢٨ / ١٩ .

وأورد الذهبي حديثاً عن محمد بن حميد الرازي قال : حدثنا سلمة الابرش ، حدثنا ابن اسحاق عن شريك عن أبي ربيعة الايادي عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعاً : " لكل نبي وصي ووارث ، وإن علياً وصيي ووارثي " ، قال محمد بن حميد الرازي ليس ثقة ^١ .

وابن حجر يذكر حديثاً في هذا الشأن بعدما أنكر وصية النبي صلى الله عليه وآله وأنه صلى الله عليه وآله ما أوصى بأحد ، قال : أخرج أحمد والنسائي عن طريق عمرو بن ميمون قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله) لبني عمه : " أياكم يواليني في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا ، فقال علي : أنا ، فقال : إنه وليي في الدنيا والآخرة ، وقال له في غزوة تبوك : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي أي لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي " ^٢ .

ولأنهم مدحوا محمد بن جرير الطبري كثيراً ولما شهدوا له من علمه وثقته روى السيد علي بن طاووس من كتاب الطبري " مناقب أهل البيت عليهم السلام مما لم يذكر فيه لفظ أمير المؤمنين عليه السلام " وفيه تصريح بالنص الصحيح على علي بن أبي طالب وعترته الطاهرين عليهم السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن سلمان الفارسي ، قال : قلنا يوماً : يا رسول الله ، من الخليفة بعدك حتى نعلمه ؟ قال لي : " يا سلمان أدخل عليّ أبا ذر والمقداد وأبا أيوب الأنصاري ، وأم سلمة زوجة النبي من وراء الباب ثم قال : اشهدوا وافهموا عني : إن علي بن أبي طالب عليه السلام وصيي ووارثي وقاضي ديني وعدتي وهو الفاروق بين الحق والباطل ، وهو يعسوب المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، والحامل غدا لواء رب العالمين ، هو وولده من بعده ، ثم من الحسين ابني أئمة تسعة هداة مهديون إلى يوم القيامة ، أشكو إلى الله جحود أمتي لأخي وتظاهروا عليه وظلمهم له وأخذهم حقه " .

قال : فقلنا له : يا رسول الله ، ويكون ذلك ؟ قال : " نعم ، يُقتل مظلوماً من بعد أن يملأ غيضاً ، ويوجد عند ذلك صابراً " ^٣ .

(١) المصدر نفسه : ٢٧٣/٢ .

(٢) الإصباية : ٤٦٧/٤ .

(٣) اليقين ، ص ٤٨٨ .

المبحث الثاني

تنزيه النبي (صلى الله عليه وآله) من إهمال أمر العباد

كيف قبلت العقول أن يترك النبي صلى الله عليه وآله أمته ولم ينص على من يتولى شؤونها بعده ليحميهم من الضلال والهلاك ، وحاشاه أن يترك النص وما أمر به الله جل وعلا منذ أن أنزل (وأنذر عشيرتک الأقربين)^١ فعين الخليفة والوصي بعده ، وهو من النصوص الإلهية والنبوية في الوصي الذي يسلك بالمسلمين طريق الهدى ويجنبهم طرق الردى والعمى والضلالة .

ففي مبدأ الدعوة الإسلامية نزل قوله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دار عمه ابي طالب أربعين رجلاً منهم عمه ابو طالب وحمزة وعباس وابو لهب وقال "صلى الله عليه وآله" : يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به ، جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن ادعوكم إليه، فأيكم يوازرنى على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاحجم القوم عنها غير علي "عليه السلام"، وكان أصغرهم سناً إذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله "صلى الله عليه وآله" برقبته وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فإسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع^٢ .

ولا يخلو مصدر من مصادر المسلمين على اختلافها من هذا التفسير إلا البخاري وغيره ممن شذوا في تفسيرهم للآية الكريمة فقال البخاري في تفسيرها : سعد النبي (صلى الله عليه وآله) على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطن قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء ابو لهب وقريش فقال: رأيتمكم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا، قال: فإنني نذير لكم بين يدي

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) مسند احمد بن حنبل، ج١، ص١١١، ص١٥٩، ص٣٣١. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج٣، ص١٣٢. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١، ص٥٤٢. الطبري، جامع البيان، تفسير الآية ٢١٤ من سورة الشعراء، ج١٩، ص٧٤.

عذاب شديد، فقال ابو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعنا فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)^١

وللسيد محمد باقر الصدر في كتابه نشأة التشيع والشيعة شرح موضوعي ومنطقي رداً على قولهم أن النبي أهمل أمر العباد وتركهم بدون وصي ، وهو قوله : إن السلبية في الموقف . أي في إهمال أمر الخلافة . لا يمكن إفتراضها في النبي صلى الله عليه وآله ، لأنها تنشأ من أحد أمرين كلاهما لا ينطبقان عليه:

الأمر الأول: الاعتقاد بأن هذه السلبية والاهمال لا تؤثر على مستقبل الدعوة، وأن الأمة سوف يخلف الدعوة فيها قادرة على التصرف بالشكل الذي يحمي الدعوة، ويضمن عدم الانحراف.

وهذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقاً، بل إن طبيعة الأشياء كانت تدل على خلافه، لأن الدعوة . بحكم كونها عملاً تغييرياً انقلابياً في بدايته يستهدف بناء أمة واستئصال كل جذور الجاهلية منها . تتعرض لأكبر الأخطار إذا خلت الساحة من قائدها، وتركها دون أي تخطيط ، فهناك أخطار التي تتبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط مسبق، وعن الضرورة الآتية لإتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمة العظيمة بفقد النبي صلى الله عليه وآله إذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف تواجه الأمة ، ولأول مرة ، مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه أخطر مشاكل الدعوة، وهي لا تمتلك أي مفهوم سابق بهذا الصدد، وسوف يتطلب منها الموقف تصرفاً سريعاً أنياً على رغم خطورة المشكلة ، لأن الفراغ لا يمكن أن يستمر، وسوف يكون هذا التصرف السريع في لحظة الصدمة التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير، وتبعث على الاضطراب. وكذلك هناك الأخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجة تضمن للنبي صلى الله عليه وآله ، سلفاً، موضوعية التصرف الذي سوف يقع وانسجامه مع الإطار الرسالي للدعوة، وتغلبه على التناقضات الكامنة التي كانت ولا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين على أساس الانقسام إلى مهاجرين وأنصار، أو قريش وسائر العرب، أو مكة والمدينة .

كما ان هناك الأخطار التي تنشأ لوجود القطاع المستتر بالإسلام ، والذي كان يكيد له في حياة النبي صلى الله عليه وآله باستمرار، وهو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين . وإذا أضفنا إليهم عدداً كبيراً ممن أسلم بعد الفتح، استسلاماً للأمر الواقع لا إنفتاحاً على الحقيقة ،

نستطيع حينئذ أن نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر أن تولده وهي تجد فجأة فرصة لنشاط واسع في فراغ كبير، مع خلو الساحة من رعاية القائد.

فلم تكن إذن خطورة الموقف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله شيئاً يمكن أن يخفى على أي قائد مارس العمل العقائدي فضلاً عن خاتم الأنبياء ، وإذا كان أبو بكر لم يشأ أن يترك الساحة دون أن يتدخل تدخلاً في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط للأمر ، وإذا كان الناس قد هرعوا إلى عمر حين ضرب قائلين: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً، وكل ذلك كان خوفاً من الفراغ الذي سوف يخلفه الخليفة، بالرغم من التركيز السياسي والاجتماعي الذي كانت الدعوة قد بلغت بعد عقد من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وإذا كان عمر قد أوصى إلى ستة تجاوباً مع شعور الآخرين بالخطر، ويدرك بعمق خطورة الموقف في يوم السقيفة، وما كان بالإمكان أن تؤدي إليه خلافة أبي بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات، وإذا كان أبو بكر نفسه يعتذر عن تسرعه إلى قبول الحكم، وتحمل المسؤوليات الكبيرة، بأنه شعر بخطورة الموقف، إذ يقول . وقد عوتب على قبول السلطة . : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض، والناس حديثو عهد بالجاهلية، فخشيت أن يفنتوا، وأن أصحابي حملونيها ، إذا كان كل ذلك صحيحاً، فمن البديهي إذن أن يكون رائد الدعوة ونبيها أكثر شعوراً بخطر السلبية، وأكبر إدراكاً، وأعمق فهماً لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغيير الذي يمارسه في أمة حديثة عهد بالجاهلية على حد تعبير أبي بكر .

الأمر الثاني: النظرة المصلحة الذي يمكن أن يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة، ومصيرها بعد وفاته، أنه على رغم شعوره بخطر هذا الموقف، لا يحاول تحصين الدعوة ضد ذلك الخطر، لأنه ينظر إلى الدعوة نظرة مصلحة، فلا يهمه إلا أن يحافظ عليها ما دام حياً ليستفيد منها، ويستمتع بمكاسبها، ولا يعنى بحماية مستقبلها بعد وفاته، وهذا التفسير لا يمكن أن يصدق على النبي محمداً "صلى الله عليه وآله" .

وأخيراً فإن في سلوك الرسول "صلى الله عليه وآله" في مرضه الأخير رقماً واحداً يكفي لنفي ذلك . أي الموقف السلبي . وللتدليل على أن القائد الأعظم، نبينا محمد صلى الله عليه وآله كان أبعد ما يكون من فرضية الموقف السلبي تجاه مستقبل الدعوة، لعدم الشعور بالخطر، أو لعدم الاهتمام بشأنه، وهذا الرقم أجمعت صحاح المسلمين جميعاً . سنة وشيعة . على نقله ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي صلى الله عليه وآله : " انتوني بالكثف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً " ، فإن هذه المحاولة من القائد الكريم، المتفق على نقلها وصحتها تدل بكل وضوح على أنه كان يفكر في

أخطار المستقبل، ويدرك بعمق ضرورة التخطيط لتحسين الامة من الانحراف، وحماية الدعوة من التميع والانهيار، فليس إذن من الممكن افتراض الموقف السلبي من النبي صلى الله عليه وآله بحالٍ من الأحوال ^١ .

ولا يجوز أن يستحسن هذه الأحاديث أحداً من أهل العقول والأديان ، ولا يجوز أن يصفون النبي المشفق عليهم والمحسن إليهم أنه مات بغير وصية ، وما سمعنا بنبي قبله مات بغير وصية ففي مناقب ابن شهر آشوب بسنده عن أمير المؤمنين والصادق والرضا عليهم السلام قال: قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " إن آدم أوصى إلى ابنه شيث، وأوصى شيث إلى شبان، وشبان إلى مجلث، ومجلث إلى محوق، ومحوق إلى عثميشا، وعثميشا إلى أخنوخ وهو ادريس، وادريس إلى برغيشاتا، وبرغيشاتا إلى يافث، ويافث إلى برة، وبرة إلى جفيسة، وجفيسة إلى عمران، وعمران إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى إسماعيل، وإسماعيل إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب، ويعقوب إلى يوسف، ويوسف إلى بثرىا، وبثرىا إلى شعيب، وشعيب إلى موسى، وموسى إلى يوشع، ويوشع إلى داود، وداود إلى سليمان، وسليمان إلى آصف، وآصف إلى زكريا، وزكريا إلى عيسى، وعيسى إلى شمعون، وشمعون إلى يحيى، ويحيى إلى منذر، ومنذر إلى سُلَيْمَة، وسُلَيْمَة إلى برة، ودفعها إلى برة، وأنا ادفعها إليك يا علي، وتدفعها أنت إلى وصيك، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحد بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك " ^٢ .

وروى ابن اسحاق في سيرته قال : حدثنا أحمد حدثنا يونس عن عبيد بن عتيبة العبدي عن وهب بن كعب بن عبد الله بن سؤر الأزدي عن سلمان الفارسي أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال يا رسول الله انه ليس من نبي إلا وله وصي وسبطان فمن وصيك وسبطاك فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يرجع شيئاً فانصرف سلمان يقول يا ويله يا ويله كلما لقيه ناس من المسلمين قالوا مالك سلمان الخير فيقول سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن شيء فلم يرد علي فخفت أن يكون من غضب فلما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الظهر قال أذن يا سلمان فجعل يدنو ويقول أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فقال سألتني عن شيء لم يأتني فيه أمر وقد أتاني أن الله قد بعث أربعة آلاف نبي وكان أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط

(١) نشأة التشيع والشيعة ، ص ٢٤ .

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣١٠ .

فوالذي نفسي بيده لأننا خير النبيين وأن وصيي لخير الوصيين وسبطاي خير الأسباط^١ .

وكان صلى الله عليه وآله أمرهم أنه من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية وروته مجمل صحاحهم وكتبهم ، وأمرهم ألا يبيت أحد من المسلمين إلا ووصيته تحت رأسه .

وجاء في صحاحهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : " ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده " ^٢ .

ومن التناقض ذكرهم أن عائشة كانت تحدث أن النبي صلى الله عليه وآله قال بعدما دخل بيتها : " أهريقوا عليّ من سبع قرب لم تحل أو كيتهن لعلي أن أعهد إلى الناس " ، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوجة النبي ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن ، قالت : ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم ^٣ .

ففي حين أنهم يصفونه صلى الله عليه وآله أنه مات بغير أن يوصي وترك ما قام به كافة الأنبياء نجد في مصادرهم سؤال عبد الله بن عمر لأبيه إن الناس يتحدثون أنك غير مستخلف، ولو كان راعي إبل أو راعي غنم ثم جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرط لرأيت أن قد ضيع، ورعية الناس أشد من رعية الإبل والغنم ماذا تقول لله عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عباده^٤ .

وقالت عائشة لابن عمر: يا بني ابلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمة محمد (صلى الله عليه وآله) بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك أهملًا فإني أخشى عليهم الفتنة^٥ .

(١) سيرة ابن اسحاق : ١٠٥/٢ .

(٢) صحيح مسلم : ١٢٤٩/٢ ، كتاب الوصية ، ح ٣٠٧٤ ؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٤٤٦/٥ ، ح ٢٧٣٨ ، أول كتاب الوصايا .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٢٠٥/١٠ ، ح ٥٧١٤ كتاب الطب .

(٤) صحيح مسلم : ٥ / ٦ ، باب النهي عن طلب الإمامة . المحب الطبري، الرياض النضرة : ١٤٩/٣ . أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء: ٤٤/١ .

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة : ٢٢/١ . ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢٤٩/٣ .

الفصل الثاني

البعد الرسالي العظيم للوصية والسعي لتغييرها

المبحث الأول

تكرار نصوص الوصية ومحاولة تحريفها

١. دلالة حديث المنزلة ودفع شبهات المخالفين

حاولوا إبعاد قصد الخلافة لعلي عليه السلام بعده صلى الله عليه وآله والتي قصدتها في حديث المنزلة ، واختلفوا الأراجيف والتأويلات في معنى وقصد الحديث ، ومنهم ابن حجر الذي قال : إن الاتصال المذكور بينهما . أي موسى وهارون عليهما السلام . ليس من جهة النبوة بل من جهة مادونها وهو الخلافة ، ولما كان هارون المشبه به إنما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي بحياته والله اعلم ^١ .

ومن الأباطيل ما جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر عن موسى الجهني قال : جاءني عمرو بن قيس الملائى وسفيان الثوري فقالا لي لا تحدث هذا الحديث في الكوفة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، قال : وإنما كرها روايته بالكوفة لئلا يُحمل على غير جهته المعروفة توليته المدينة واستخلافه ^٢ .

وحديث المنزلة من رسول الإنسانية يؤكد أن النبي أوصى لأخيه وبيّن منزلته منه ، وقد روته المصادر وألفت فيه الكتب منها ما بيّنه السيد علي بن طاووس قال : وقد صنف القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي ^٣ - وهو من أعيان رجالهم - كتاباً سماه " ذكر الروايات عن النبي أنه قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وبيان طرقها واختلاف وجوهها " ^٤ ، وكثيرة هي المصادر من الفرق الإسلامية المختلفة التي تروي حديث المنزلة .

(١) المصدر السابق .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٨٥/٤٢ .

(٣) له كتاب الفرع بعد الشدة وكان في عصر الشريف المرتضى .

(٤) الطرائف ، ج ١ ، ص ٧٥ .

واحتج المأمون العباسي على بعض من أنكر المعنى الحقيقي للحديث فروى ابن عبد البر : قال المأمون : قوله عز وجل حين حكى عن موسى "عليه السلام" قوله: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ، لِكَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا ، وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا ، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا)^١ .

فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى، وزيري من أهلي، وأخي أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبح الله كثيراً، ونذكره كثيراً. فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا ؟ ولم يكن ليبتل قول النبي "صلى الله عليه وآله" وأن يكون لامعنى له^٢ .

وبيّن الشريف المرتضى أن الخبر دال على النص فقال : إن قوله صلى الله عليه وآله " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " يقتضي حصول جميع منازل هارون من موسى عليه السلام لأمير المؤمنين إلا ما خصه الاستثناء المتطرق به في الخبر وما جرى مجرى الاستثناء من العرف ، وقد علمنا أن منازل هارون من موسى هي الشركة في النبوة ، وأخوة النسب والفضل والمحبة والاختصاص على جميع قومه والخلافة له في حال غيبته على أمته ، وأنه لو بقي بعده لخلفه فيهم ولم يجز أن يخرج القيام بأمرهم عنه إلى غيره ، وإذا خرج بالاستثناء منزلة النبوة ، وخص العرف منزلة الأخوة في النسب لأن من المعلوم لكل أحد ممن عرفهما عليهما السلام أنه لم يكن بينهما أخوة نسب وجب القطع على ثبوت ما عدا هاتين المنزلتين ، وإذا ثبت ما عداهما وفي جملته أنه لو بقي لخلفه ودبر أمر أمته وقام فيهم مقامه ، وعلمنا بقاء أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وجبت له الإمامة بعده بلا شبهة ، وأن خلافة هارون لموسى في حياته لا شك في أنها منزلة منه ، وواجبة بقوله الذي ورد به القرآن ، فأما ما أوجبناه من استخلافه الخلافة بعده فلا مانع من إضافته أيضاً إلى موسى عليه السلام ، لأنه من حيث استخلفه في حياته وفوض إليه تدبير قومه ولم يجز أن يخرج عن ولاية جعلت له ، وجب حصول هذه المنزلة له بعد الوفاة^٣ .

أما الذي يدل على صحة الخبر فهو جميع ما دل على صحة خبر ، ولأن علماء الأمة مطبقون على قبوله وإن اختلفوا في تأويله والشيعنة تتواتر به ، وأكثر رواة الحديث يرويه ومن صنف

(١) طه : ٢٩ - ٣٥ .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، : ٩٢/٥ .

(٣) الشافي في الإمامة : ٧/٣ .

الحديث منهم أورده من جملة الصحيح ، وهو ظاهر بين الأمة شائع كظهور سائر ما نقطع على صحته من الأخبار واحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أهل الشورى يصححه ^١ .

وأما الدليل على أن هارون عليه السلام لو بقي بعد موسى لخلفه في أمته فهو أنه قد ثبت خلافته له في حال حياته بلا خلاف وفي قوله تعالى : " وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين " ، أكبر شاهد بذلك ، وإذا ثبت الخلافة له في حال الحياة وجب حصولها له بعد حال الوفاة لو بقي إليها لأن خروجها عنه في حال من الأحوال مع بقائه حط له من رتبة كان عليها ، وصرف عن ولاية فوضت إليه ^٢ .

وإن قالوا أن يكون الخبر مقصوراً على منزلة واحدة لأجل السبب أو ما يجري مجراه وهو إرجاف المنافقين ، ووجوب حمل الكلام عليه وألا يتعداه فيبطل من وجوه أهمها أن كثيراً من الروايات قد أتت بأن النبي صلى الله عليه وآله قال له : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " في أماكن مختلفة ، وأحوال شتى ، فليس لنا أيضاً أن نخصه بغزوة تبوك دون غيرها ، ودلالة هذا الحديث على خلافة أمير المؤمنين صريحة جداً ومناقشات المخالفين في دلالاته بوجوه كلها موهونة ، ودفع هذه الشبهة بأن هذا الحديث لم يختص بغزوة تبوك فقط بل قاله صلى الله عليه وآله في مقامات عديدة وموارد متكررة .

أما الكشف عن بطلان قول من ادعى أن السبب كان إرجاف المنافقين فليس يخلو المنافقون الذين ادعى عليهم الإرجاف من أن يكونوا عقلاء مميزين أو نقصاء مجانين ، فإن كانوا عقلاء فالعقل لا يصح دخول الشبهة عليه في الضروريات ، وإن كانوا من أهل الجنون والنقص فإرجافهم غير مؤثر ، ولا معتد به ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله غير محتاج إلى الرد عليهم ، والإبطال لقولهم ^٣ .

(١) الشافي في الإمامة : ٨/٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه : ٥٦ / ٣ .

فحديث " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " قاله صلى الله عليه وآله في مواطن كثيرة منها لما خلفه على المدينة يوم غزوة تبوك كما جاء في صحيح البخاري وأجمعت عليه المصادر ^١ .

ومنها عند التخاصم في ابنة حمزة عليه السلام كما في خصائص النسائي قال : رواه القاسم بن يزيد المخزومي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة ابن مريم ، وهانئ بن هانئ ، عن علي رضي الله عنه قال : لما صدرنا من مكة إذا ابنة حمزة تتادي : يا عم يا عم ، فتناولها علي رضي الله عنه وأخذها فقال لصاحبه : دونك ابنة عمك فحملتها ، فاخصم فيها علي وزيد وجعفر ، فقال علي : أنا أخذها وهي بنت عمي ، وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : الخالة بمنزلة الأم ، ثم قال لعلي : أنت مني بمنزلة هارون وأنا منك . وقال لجعفر : اشبهت خلقي وخلقي . وقال لزيد : يا زيد أنت أخونا ومولانا ^٢ .

ومنها لما آخى بين أصحابه كما جاء في كنز العمال قال : إن رسول الله "صلى الله عليه وآله" قال لعلي "عليه السلام" في المواقاة الثانية : " أَعْضِبْتَ عَلِيَّ حِينَ آخَيْتَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلَمْ أَوْآخِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ " ، وقال : أخرجه أحمد في المناقب وابن عساكر في تاريخه ، ومنها في كلام له صلى الله عليه وآله مع علي وهو متكئ عليه وأخرجه المتقي الهندي ^٣ .

ومن مسند زيد بن أبي أوفى لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال علي : لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري ، فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبي والكرامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي بعثني بالحق ما أخرجتك إلا لنفسي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي ، قال : وما أرت منك يا رسول الله ؟ قال : ما ورت الأنبياء من قبلي ، قال : وما ورت الأنبياء

(١) صحيح البخاري : ٢٠٩/٤ .

(٢) خصائص أمير المؤمنين : ٨٨ ؛ تاريخ مدينة دمشق : ١٨/٤١ .

(٣) كنز العمال : ٦٠٧/١١ .

من قبلك ؟ قال : كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي ، وأنت أخي ورفيقي^١ .

ومنها في الموأخاة ، قال السيوطي: أخرجه احمد بن حنبل في كتاب مناقب علي "عليه السلام" وابن عساكر في تأريخه والبخاري والبيهقي والهيتمي الهندي عن أبي سعيد الخدري قال : إن رسول الله "صلى الله عليه وآله" في الموأخاة بين المهاجرين والأنصار في الأولى والثانية يصطفي لنفسه منهم علياً "عليه السلام" فيتخذه من دونهم أخاه عندما آخى بين المهاجرين في الأولى وبين المهاجرين والأنصار في الثانية وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي كما قال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة وآخى بينه وبين نفسه^٢ .

ومنها في سد الأبواب ففي ينابيع المودة للقندوزي عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: قام النبي "صلى الله عليه وآله" يوم سد الأبواب خطيباً فقال: إن رجالا يجدون في أنفسهم شيئاً إن أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم والله ما أسكنته بل الله أخرجهم وأسكنه إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً وإجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة إلى أن قال: وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي ولا يجوز لأحد أن ينكح فيه النساء إلا هو^٣ .

ومنها في قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله للمسجد ، رواه ابن عساكر عن أبي المظفر بن القشيري وأبي القاسم الشحامي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثنا أبو سعيد محمد بن بشر حدثنا محمد بن إدريس حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن حزام بن عثمان عن ابن جابر عن جابر قال جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن مضطجعون في المسجد فضربنا بعسيب في يده فقال أترقدون في المسجد إنه لا يرقد فيه فأجفنا وأجفل علي فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تعال يا علي إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي ألا ترضى أن تكون مني

(١) المصدر السابق : ١٠٦/١٣ .

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٦٨ .

(٣) ينابيع المودة، فضائل علي "ع"، ص ١١٦ ؛ مسند احمد بن حنبل، ج ٤ ، ح ٣٦٩ ؛ مناقب الخوارزمي،

منزلة هارون من موسى إلا النبوة والذي نفسي بيده إنك لذواد عن حوضي يوم القيامة تذود البعير الضال عن الماء بعضا لك من عوسج كأني أنظر إلى مقامك من حوضي^١ .

ومن تلك المواطن كان عمر بن الخطاب شاهداً عليها ورواها ابن عساكر عن عبد الله بن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب وعنده جماعة فتذكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر : أما علي فسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول فيه ثلاث خصال لوددت أن لي واحدة منهن فكان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة إذ ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) بيده على منكب علي فقال له يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً وأول المسلمين إسلاماً وأنت مني بمنزلة هارون من موسى^٢ .

ومنها عندما كان يقاتل عن يمين رسول الله ورواها الخوارزمي في مناقبه عن أبي ذر قال: إحتج علي "عليه السلام" في اليوم الأول من بيعة عثمان فقال: "هل تعلمون أني كنت إذا قاتلت عن يمين رسول الله "صلى الله عليه وآله" قال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي " ، قالوا: اللهم نعم^٣ .

ومنها في حديث له مع علي يوم ولد الحسين وأورده المحب الطبري^٤ .

قال السيد الشيرازي في مناظراته : قال المفسرون : لما أراد موسى بن عمران عليه السلام أن يذهب لميقات ربه سبحانه ، جمع قومه ، فاجتمع على بعض الروايات سبعون ألفاً ، فأكد عليهم بأن أخاه هارون خليفته فيهم ، فليطيعوه ولا يخالفوه ، فلما ذهب لميقات ربه وطال غيابه انقلب بنو اسرائيل على هارون فخالفوه وأطاعوا السامري وسجدوا لعجله الذي صنعه من ذهبهم وزينة نسائهم ، ولما نهاهم هارون من ذلك ودعاهم لعبادة الله سبحانه وأن لا يشركوا به شيئاً ، خاصموه وكادوا يقتلونه كما قال : (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) ° ، فهل تجمع بنو اسرائيل حول السامري وعجله وتركهم خليفة نبيهم المنصوب والمعين بأمر الله سبحانه دليل على حقية السامري

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٤٠/٤٢ .

(٢) المصدر نفسه : ١٦٧/٤٢ ؛ كنز العمال : ١٢٣/١٣ .

(٣) مناقب الخوارزمي : ٣٠١ .

(٤) كنز العمال : ٤٠/٥ ، ٣٩٥/٦ ؛ ذخائر العقبى : ١٢٠ .

(٥) الأعراف : ١٥٠ .

وبطلان هارون ؟ ، أم هل عملهم هذا يدل على أنهم لم يسمعوا نصاً من نبيهم موسى بن عمران في خلافة أخيه هارون ؟

لأنهم مع علمهم بخلافة هارون ولزوم طاعتهم له بأمر الله العزيز الحكيم ، خالفوه وكادوا يقتلونه ، فتبعوا السامري وأطاعوه وسجدوا لعجله وعبدوه .

قال : هكذا حدث بعد وفاة نبينا المصطفى ، فالذين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله تكررًا ومرارًا يقول بالصرحة والكناية : " أن علياً عليه السلام خليفة فيكم ، فاسمعوا وأطيعوا " ، تركوا علياً وخالفوه وتبعوا أهوائهم بإغواء المنافقين وتدليس إبليس ، فخاصموا علياً وخالفوه وخذلوه لأسباب عديدة ^١ .

ومن المخالفين من قال : إن كان استخلافه علياً (عليه السلام) في المدينة يقتضي استمرار الخلافة إلى ما بعد الموت فيكون إماماً فتقدمه (صلى الله عليه وآله) أبا بكر في الصلاة في أيام مرضه يقتضي كونه إماماً بعد وفاته ، وثبت أنه (صلى الله عليه وآله) بعدما استخلف علياً (عليه السلام) على المدينة بعثه إلى اليمن واستخلف على المدينة غيره عند خروجه في حجة الوداع ، وهذا يبطل القول إن ذلك الاستخلاف قائم إلى بعد موته ^٢ .

والحديث ذكره عن مسلم والبخاري من حديث موسى بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله قال : دخلت على عائشة فقلت لها : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

قالت : بلى ، ثقل النبي فقال : أصلى الناس ؟

قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله .

قال : ضعوا لي ماء في المخضب ، ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟

قلنا : لا وهم ينتظرونك يا رسول الله .

(١) البدر الأزهر في مناظرات ليالي بيشاور : ١٦١ .
(٢) المعتزلي ، القاضي عبد الجبار ، المغني في ابواب التوحيد والعدل : ١٧٧/١ .

فقال : ضعوا لي ماء في المخضب ، ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال :
أصلّى الناس ؟

قلنا : لا : وهم ينتظرونك يا رسول الله .

فقال : ضعوا لي ماء في المخضب ، ففعلنا ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال : أصلّى
الناس ؟

فقلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله .

قالت : والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله (صلى الله عليه وآله) لصلاة العشاء والآخرة

قالت : فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول فقال :
إن رسول الله يأمرك أن تصلي بالناس ، فقال أبو بكر وكان رجلاً رقيقاً : يا عمر صلّ بالناس

قال : فقال عمر : أنت أحق بذلك .

قالت : فصلّى بهم أبو بكر تلك الأيام .

ثم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة
الظهر وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأوماً إليه النبي (صلى الله عليه
وآله) أن لا يتأخر وقال لهما : أجلساني إلى جنبه ، فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، وكان أبو بكر
يصلي وهو قائم بصلاة النبي والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي قاعد ، هذا لفظ الحديث في
صحيحي مسلم والبخاري ^١ .

قال السيد ابن طاووس من طرائف الحديث المذكور الذي يُضحك الناس أن يكون نبيهم لما خرج على تلك الضرورة يتهدى بين رجلين ليمنع أبا بكر أن يصلي بالناس ويُصلي هو بهم ، فلما صلى نبيهم محمد صلى الله عليه وآله كان أبو بكر وحده يصلي بصلاته والناس كلهم يصلون بصلاة أبي بكر ، فإن العقل ما يقتضي أن مسلماً عارفاً يكون بين يديه النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر فيقتدي بأبي بكر ويترك الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله ، ومن فعل ذلك من المسلمين فهو معدود من السفهاء الغافلين الذين لا يعتقد عاقل بائتمامهم وانفرادهم^١ .

وهناك دلائل تبين أنهم ما كانوا يراعون إذن نبيهم في القيام مقامه في الصلاة بالناس ، أو أنهم كانوا يعتقدون ذلك ويقدمون على ترك إذنه ، فمما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين في المتفق عليه من مسند المغيرة بن شعبة في الحديث الأول قال المغيرة : برز رسول الله قبل الغائط فحملت معه أداوه قبل صلاة الفجر فلما رجع رسول الله توضأ للصلاة ، ووصف المغيرة الوضوء ثم قال المغيرة : فاقبلت معه حتى نجد الناس قدّموا عبد الرحمن بن عوف يصلي بهم ، فأدرك رسول الله إحدى الركعتين ، فصلّى مع الناس الركعة الآخرة ، فلما سلّم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتمم صلاته ، فأفزع ذلك المسلمين ، فأكثرُوا التسييح^٢ .

وبذلك يظهر أن النبي صلى الله عليه وآله كان يكره أن يصلي بالناس غيره بما تضمنه من معالجه لمرضه ثلاث مرات ليخرج إليهم ، وأنه صلى الله عليه وآله كان يسيئ الظن بأصحابه ومعتقداً لإقدامهم على ترك مراقبته ، لأنه في كل مرة في معالجه يقول : أصلى الناس ؟^٣ .

وما يثير العجب في حديثهم هذا أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله) لما خرج على تلك الضرورة يتهدى بين رجلين ليمنع أبا بكر أن يصلي بالناس ويُصلي هو بهم ، فلما صلى نبيهم محمد (صلى الله عليه وآله) كان أبو بكر وحده يصلي بصلاته والناس كلهم يصلون بصلاة أبي بكر ، فإن العقل ما يقتضي أن مسلماً عارفاً يكون بين يديه النبي (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر فيقتدي بأبي بكر ويترك الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله .

(١) الطرائف : ٣٢٣/١ .

(٢) صحيح مسلم : ٣١٧/١ . .

(٣) انظر صحيح مسلم : ٣١٨/١ ، كتاب الصلاة .

ثم إن ولاية الصلاة لو ثبتت لم تدل على الإمامة ، وما يدل على أن أبا بكر غير مؤهل لهذه المنزلة أنه أرجع بأمر الله ورسوله لما أخذ السورة ، وكان الوالي على الحجيج والمؤدي للسورة أمير المرمنين ، فما وهبه الله تعالى من العناية والإكرام مثل تأدية سورة براءة وغيرها وفي بدر وأحد وخيبر وحنين ويوم قتل عمرو بن عبد ود وغيرها من المقامات التي لا يبلغها ويدانيها أحد وهي مقامات مختصة بالأولياء والأوصياء ، وهم قالوا أنه أقر أبا بكر على الموسم في الحج والصلاة وأتبعه بعلي عليه السلام لأجل نقض العهود ، وقد بين علمائنا أسباب اعطاء السورة لأبي بكر وأخذها منه واطهار أنه لا يصلح دليلاً على أن الله أراد كشف حال أبي بكر ونقصه عن المراتب اليسيرة لئلا يستصلحه أحد للولاية الكبيرة ^١ .

أما ما قالوه في أن خليفتي من بعدي غير معروف والمعروف خليفتي في أهلي ، وأن ذلك لا يدل على الإمامة بل تخصيصه بالأهل وبأنه أراد أن يقوم بأحوالهم التي كان يقوم بها النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأنه (صلى الله عليه وآله) استخلف على المدينة غير علي (عليه السلام) عند خروجه في حجة الوداع ، وهذا يبطل القول إن ذلك الاستخلاف قائم إلى بعد موته ^٢ .

والرد بالقول : لو فرضنا أن الخبر لم يرد إلا بلفظ " أنت خليفتي في أهلي " لكان نصاً بالإمامة ، لأن من يخلف النبي صلى الله عليه وآله هو من يقوم فيمن كان خليفة عليه بما كان صلى الله عليه وآله يقوم به ، وإذا ثبت هذا المعنى بعد النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في واحد من الناس فضلاً عن جماعة الأهل تثبت له الإمامة ^٣ .

أما من استخلفه على المدينة غير أمير المؤمنين عليه السلام عند خروجه صلى الله عليه وآله في حجة الوداع ومن استخلف في غزواته بالناس فهم غير مشهورين بحديث كحديث المنزلة الذي بينا دلالاته بأنه وصية في خلافته عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ، ثم إن العدو الذي كان شديداً عليه في تبوك وهم أصحاب العقبة المتلثمين - الذين اتفقوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وآله الناقة - أضحى النبي صلى الله عليه وآله في أمان من كيدهم وقد أمن مكرهم به وتربصهم له ، فلا يكثرث النبي صلى الله عليه وآله لأنهم معه في الحجة ، عازماً على أن

(١) فصلنا ذلك في الفصل الثالث "نظام الشورى ومخالفة النص" في مبحث "انحراف وعدم كفاءة خلفاء الشورى".

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل : ١ / ١٨٤ .

(٣) الشافي في الإمامة : ٨٠ / ٣ .

يجعلهم يسلموا بأمره المؤمنين لأخيه ووزيره ووارثه وخليفته في أمته في حجة الوداع ، وكان يعلم كيدهم ومكرهم وأشار الكتاب إليهم في قوله تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ * وَعَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١).

وما قال صلى الله عليه وآله في غيره الذي استخلفه على المدينة أو غيرها ما يقتضي النص عليه وحصول الإمامة له من بعده ، فلا بد أن يستدل بعد ما قدمناه من دلالة حديث المنزلة على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الإمام من بعده ، وقد روي من أقواله صلى الله عليه وآله فيه عليه السلام ما يدل على بقاءه بعده ، وقد تظاهرت الرواية بذلك من جملة قوله : " تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين " ^٢ .

وتظاهرت الأخبار أيضاً بنصوص جلية أنه صلى الله عليه وآله قال : " علي أخي ووزير ووصي وخليفتي في أمتي وخير من اترك بعدي " ^٣ .

وروى أحمد بن حنبل في المسند مسنداً الى أنس بن مالك قال: قلنا لسلمان "رضوان الله عليه" سل النبي "صلى الله عليه وآله" من وصيه ؟ فقال له سلمان: يا رسول الله من وصيك؟ فقال: " يا سلمان من كان وصي موسى؟ " ، قال: يوشع بن نون ، قال: قال : " وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب " ^٤ .

واخرج والخطيب البغدادي وابن اسحاق عن سلمان قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: " إن الله تعالى قد بعث أربعة آلاف نبي وكان لهم أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط ،

(١) التوبة: ١٠٢.١٠١ .

(٢) أسد الغابة : ٣٣/٤ ؛ المستدرک علی الصحیحین : ١٣٩/٣ ؛ تاریخ بغداد : ٢٤٠/٨ .

(٣) مناقب الخوارزمي : ٨٥ .

(٤) مسند احمد، كتاب الفضائل: ٦١٥/٢ .

فوالذي نفسي بيده لأننا خير النبيين ووصيي خير الوصيين وسبطاي خير الأسباط " ١ .

٢. حديث الثقلين

وفي ذكر كثرة المواطن التي أكد فيها النبي صلى الله عليه وآله وصيته للمسلمين منها حديث الثقلين ، فقد روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة قال: قال ابن حجر في صواعقه ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا عديدة وروى في نيف وعشرين صحابيا، وقال ذلك في حجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قال بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك ببغدير خم، وفي أخرى أنه قال ذلك لما قام خطيباً بعد إنصرافه من الطائف ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " إني تارك فيكم الثقلين لن تضلوا إن إتبعتموهما وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي، أي سألت ربي ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم " ٢ .

وقال الشيخ المظفر في كتابه السقيفة بشأن كتابة النبي الكتاب : ونحن رجحنا أن يكون المقصود هو النص على علي عليه السلام للدلائل والاشارات التي ذكرناها في كتاب السقيفة ومن جملتها قول عمر : حسبنا كتاب الله ، الذي هو صريح في أن ما يريد أن يبينه النبي صلى الله عليه وآله هو عدل القرآن ، ويسرع الى أذهاننا حينئذ حديث الثقلين وأنه هو المستهدف في البيان والمنع منه ٣ .

وحديث الثقلين جاء بأوضح لفظ لوصية النبي وهو لفظ الخليفتين وفي أحاديث كثيرة منها ما رواه العلامة الحموي الشافعي برواية زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ، ألا وهما الخليفتان من بعدي ولن

(١) الخطيب البغدادي، تلخيص المتشابه: ١/ ٥٤٤، رقم ٩١٥. سيرة ابن اسحاق، ص ١٢٤. ١٢٥، ذيل حديث

بنيان الكعبة وما بين المعقودتين منها.

(٢) ينابيع المودة لذوي القربى: ٢/ ٤٣٨ .

(٣) السقيفة : ٢٠٠ .

يفترقا حتى يردا عليّ الحوض^١ .

ولا يمكن أن تكون الأحاديث في الوصية أحاديثاً عابرة ، أو يكون ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وصاياه عابرة لا يقصد من وراءها شيئاً في مواقف تروي المصنفات منها أدق التفاصيل كيوم الدار وحديث المنزلة ويوم الغدير وحديث الثقلين وحديث الإثني عشر الذي لا يستطيع أحد انكارها في خلافة وعصمة أمير المؤمنين وأبناءه عليهم السلام .

وفي التأكيد على أهمية حديث الثقلين كوصية من وصايا الخلافة لوصي رسول الله روى السيدعلي بن طاووس بعد ذكره طرق الحديث من كتب مهمة وقيمة كانت لديه من الخاصة والعامة ومنها كتاب العمدة في الاصول للشيخ المفيد أورد فيه احتجاج الشيخ المفيد على صحة الإمامة بحديث الثقلين وهذا لفظه : لا يكون شيئاً أبلغ من قول القائل : قد تركت فيكم فلاناً ، كما يقول الأمير إذا خرج من بلده واستخلف من يقوم مقامه لأهل البلد : قد تركت فيكم فلاناً يراعكم ويقوم فيكم مقامي ، وكما يقول من أراد الخروج عن أهله وأراد أن يوكل عليهم وكلياً يقوم بأمرهم : قد تركت فيكم فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا^٢ .

واحتج السيد ابن طاووس بعدها قائلاً : ولعمري إنني أرى عقلي شاهداً أن من نعى نفسه إلى قومه وقال كما قال نبيهم : " إني بشر يوشك أن أدعى فأجيب " ، ثم قال بعد ذلك : " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي " ، كما رووه في كتبهم ، فإنه لا يشك عاقل أنه قصد أن كتاب الله وعترته الذين لا يفارقون كتابه يقومان مقامه بعد وفاته^٣ .

وفي مسند أحمد جاء لفظ حديث الثقلين : " إني تارك فيكم خليفتي كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض " ^٤ ، وهذا أوضح لفظ في الوصية والتأكيد مرارا على العترة الطاهرة وأنهم عدل القرآن .

(١) فرائد السمطين، ج ٢، باب ٣٣ .

(٢) الطرائف : ١٧٣/١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مسند أحمد : ١٨٢ / ٥ .

وقد خرّجه كذلك الطبراني في معجمه الكبير وإمام الحنابلة أحمد في مسنده ، وهذا اللفظ للحديث الذي أخرجه أحمد بن حنبل رواه عنه ابنه عبد الله قال : حدثني أبي قال : حدثنا اسود بن عامر ، قال : حدثنا شريك عن ركين عن القاسم ابن حسان عن زيد بن ثابت ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض " ^١ .

وجلال الدين السيوطي الشافعي من رواية زيد بن ثابت قال : اخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي " ^٢ .

ورغم تواتر حديث الثقلين وروايته من عدد كبير من الصحابة وهو من الأحاديث الدالة على فضل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام فإن بعض المخالفين مثل ابن تيمية وابن الجوزي وغيرهم يحاولون بوسائلٍ وطرقٍ شتى أن يطعنوا بحديث الثقلين ويضعفونه بدون دليل منطقي وواقعي .

قال ابن تيمية : رواه الترمذي وحسنه وفيه نظر ^٣ .

وابن الجوزي في العلل المتناهية قال : هذا حديث لا يصح ^٤ .

ومنهم من قال : يحصل التواتر بأربعة من الصحابة ولا يحل مخالفته ^٥ ، ومن قال : المتواتر هو المفيد للعلم اليقيني ^٦ ، وقالوا : التواتر لا يشترط له عدد معين لعله يحصل من صحابي أو صحابين فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة أو الإثنان إذا تلقته الأمة فهو يفيد التواتر ويفيد العلم عند جماهير العلماء ^٧ .

ومن غرائبهم أنهم يأخذون بأخبار الآحاد ، وإذا رأوا أو سمعوا الأخبار تخص عترة رسول الله صلى الله عليه وآله يعرضون عنها ويضعفونها سواء كانت آحاداً أو متواترة .

(١) المصدر السابق : ١٨١/٥ ..

(٢) الدر المنثور : ٦٠/٢ .

(٣) مجموعة الفتاوى ، م ١٤ ، ص ٢٦٩ .

(٤) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، م ١ ، ح ١٤٢٤ ، ص ٢٦٨ .

(٥) ابن حزم ، المحلى ، مسألة ١٥١١ .

(٦) ابن حجر ، النكت ، ص ٥٦ .

(٧) ابن تيمية ، علم الحديث ، ص ٨٥ .

قال السمهودي الشافعي : إن الصحابة الذين نقلوا حديث الثقلين زادوا على العشرين قال: عن جابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد وخزيمة بن ثابت وزيد بن ثابت وسهل بن سعد وضميره الأسلمي وعامر بن ليلي وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عباس وابن عمر وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وعلي "عليه السلام" وأبي ذر وأبي رافع وأبي قدامة وأبي الهيثم وأم سلمة وأم هاني^١ .

وذكر ابن حجر الهيثمي المكي تعدد طرق الحديث والمواطن التي ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله فيها فقال : إعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي مرضه وفي غدير خم وقاله لما قام خطيباً بعد إنصرافه من الطائف^٢ .

٣. آية البلاغ وحديث الغدير

صنف العلماء بالأخبار كتباً كثيرة في حديث يوم الغدير ومنهم ابن عقدة^٣ الذي صنف

(١) جواهر العقدين، ص ٢٣٤.

(٢) الصواعق المحرقة، م ٢، ص ٤٤٠.

(٣) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ : حافظ العصر والمحدث البحر أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي مولى بنى هاشم وكان أبوه نحوياً صالحاً يلقب بعقدة ، حدث أبو العباس عن أبي جعفر بن عبيد الله بن المنادى والحسن بن علي بن عفان ويحيى بن أبي طالب وعبد الله بن أبي مسرة المكي وأحمد بن عبد الحميد الحارثي والحسن بن مكرم وعبد الله بن أسامة الكلبي وأم لا يحصون .

وكتب العالي والنازل والحق والباطل حتى كتب عن أصحابه ، وكان إليه المنتهى في قوة الحفظ وكثرة الحديث ، وصنف وجمع وألف في الأبواب والتراجم ورحلته قليلة ، ولهذا كان يأخذ عن الذين يرحلون إليه ، ولو صان نفسه وجود لضررت إليه أكباد الإبل ولضرب بإمامته المثل لكنه جمع فأوعى وخط الغث بالسمين والخرز بالدر الثمين ومقت لتشيحه .

حدث عنه الجعابي والطبراني وابن عدي والدارقطني وأبو حفص الكتاني وابن جميع الغساني وإبراهيم بن خرشيد قوله وأبو عمر بن مهدي الفارسي وأبو الحسن بن الصلت وأبو الحسين بن مقيم وخلق كثير . (تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ٨٣٩ ترجمة ابن عقدة) .

وقال ابن حجر : قال ابن عدي : ابن عقدة صاحب معرفة وحفظ وتقدم في الصنعة رأيت مشائخ بغداد يسيئون الثناء عليه ثم قوى ابن عدي امره وقال لولا انى شرطت ان أذكر كل من تكلم فيه يعنى لا أحابي لم أذكره للفضل الذي كان فيه من الفضل والمعرفة ثم لم يسق له ابن عدي شيئاً منكراً . الدارقطني قال كان رجل سوء يشير إلى الرفض ، قرأت بخط يوسف بن أحمد الشيرازي سئل الدارقطني عن ابن عقدة فقال لم يكن في الدين بالقوى وأكذب

كتاب " حديث الولاية " فذكر الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وأسماء رواة حديث الغدير من مائة وخمس طرق ، وعن جمع كبير من الصحابة ومنهم عائشة بنت أبي بكر ، وابن عقدة ثقة عند أرياب المذاهب وأثنى عليه الخطيب البغدادي وزكاه ^١ .
وقال ابن طاووس والكتاب عندي وعليه خط الشيخ العالم الرباني أبي جعفر الطوسي وجماعة من شيوخ الإسلام ، وقد روى حديث الغدير محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه " حديث الولاية " ، ويشير أيضاً إلى طرق الحديث في كتاب " حديث الولاية " لأبي عباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة ^٢ .

ويثني أبو حنيفة نعمان ^٣ على كتابه قائلاً : فمن ذلك أن كتابه الذي ذكرناه وهو كتاب لطيف بسيط ذكر فيه فضائل علي (عليه السلام) ، وإن سبب بسطه إياه إنما كان لأن سائلاً سأله عن ذلك الأمر عن قائل زعم أن علياً (عليه السلام) لم يكن شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حجة الوداع التي قيل إنه قام فيها بولاية علي بغدير خم ليدفع بذلك حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأكثر الطبري التعجب من جهل هذا القائل واحتج على ذلك بالروايات الثابتة على قدوم علي من اليمن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

من يتهمه بالوضع إنما بلاؤه هذه الوجدات وقال أبو عمر بن حيويه كان ابن عقدة يملئ مثالب الصحابة أو قال مثالب الشيخين فتركت حديثه . (لسان الميزان : ٢٦٢/١ : ٢٦٤) .

(^١) قال الخطيب : أخبرني محمد بن علي المقرئ حدثنا محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري قال قلت لأبي علي الحافظ إن بعض الناس يقولون في أبي العباس قال في ماذا ؟ قلت في تفرده بهذه المقدمات عن هؤلاء المجهولين فقال لا تشتغل بمثل هذا أبو العباس إمام حافظ محله محل من يسئل عن التابعين وأتباعهم .

وقال : حدثني علي بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا عمر بن حيويه يقول كان أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة في جامع براشي يملئ مثالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال الشيخين أبا بكر وعمر فتركت حديثه لا أحدث عنه بشئ وما سمعت عنه بعد ذلك شيئاً .

قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن نعيم البصري - لفظاً - قال سمعت محمد بن عدي بن زحر يقول سمعت محمد بن الفتح القلانسي يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول منذ نشأ هذا الغلام أفسد حديث الكوفة - يعني أبا العباس بن عقدة - .

قال : مات لسبع خلون من ذي القعدة وسمعته يقول ولدت في سنة تسع وأربعين ومائتين ذكر لي عبد العزيز بن علي أن مولده كان ليلة النصف من المحرم من هذه السنة . (تاريخ بغداد : ٢٢٣/٥ : ٢٢٥) .

(^٢) الطرائف : ٢١٠/١ .

(^٣) أبو حنيفة نعمان بن محمد التميمي المغربي العالم والإسماعيلي المذهب في عهد الدولة الفاطمية (ت ٣٦٣ هـ) هو أكثر من نقل عن كتاب الولاية في كتاب شرح الأخبار .

ثم قال أبو حنيفة: ورواه أكثر أصحاب الحديث وممن رواه وأدخله في كتاب ذكر فيه فضائل علي (عليه السلام) محمد بن جرير الطبري وهو أحد أهل بغداد من العامة عن قرب عهد في العلم والحديث والفقهاء عندهم ، ثم روى ذلك الحديث ^١ .

وقيل من أسباب تأليفه أن بعض الشيوخ في بغداد كذبوا حديث الغدير وقالوا إن علياً كان باليمن في الوقت الذي حدّث رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم ، فلما بلغ الطبري شرع في الكتاب مبتدئاً من فضائل علي عليه السلام ، ثم ذكر حديث الغدير وطرقه ، والكلام عليه وأحكامه وطرقه وهو كتاب كبير ذكر ابن كثير أنه رآه بمجلدين ، وقالوا : إن كتاب الولاية لم يتم للطبري املائه وجمعه مع الفضائل للطبري وفيه فضائل أبي بكر وفضائل العباس وفضائل علي وفيه أحاديث الغدير ^٢ .

وروى حديث الغدير عن كتاب الولاية ابن عبد البر والتمتقي الهندي وابن كثير وابن شهر آشوب وابن طاووس في اليقين أيضاً ^٣ .

قال الحموي في ترجمة محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ : له كتاب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم ثم تلاه بالفضائل ولم يتم ^٤ .

وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعد وأطرحه ، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم ، وقال إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم ^٥ .

(١) شرح الأخبار: ١١٦ / ١ - ١٦٤ .
(٢) الطبري ، إختلاف الفقهاء ، ص ١٢ ، مقدمة المحقق .
(٣) ابن عبد البر ، الاستيعاب: ١٠٩٠/٣ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال : ١١٣ / ١٣ - ١٩٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية: ٢٢٩ / ٥ - ٢٣٢ ؛ ابن شهر آشوب ، المناقب: ١٥٣/٢ ؛ ابن طاووس ، اليقين باختصاص مولانا علي بأمير المؤمنين ، ص ٢١٥ - ٢١٧ .
(٤) معجم الأدباء: ٨٠/١٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

يروى الذهبي في طبقاته : لما بلغ محمد بن جرير أن ابن أبي داود^١ تكلم في حديث غدير خم ، عمل كتاب الفضائل ، وتكلم في تصحيح الحديث ، ورأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير فاندشت له ولكثرة الطرق^٢ .

وذكره ابن كثير في تاريخه : إني رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين ، وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير^٣ .

ونسبه إليه ابن حجر في تهذيب التهذيب^٤ .

ويرويه أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني^٥ في كتابه " دراية حديث الغدير " عن ابن عباس عن عائشة قالت : لما خرج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى حجة الوداع نزل بالجحفة ، فأتاه

(١) ابن أبي داود المكنى بأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني المتوفى (٢٧٥هـ) .

قال ابن عدي : سمعت علي بن عبد الله الدهري يقول سمعت أحمد بن محمد بن عمرو بن عيسى كركر يقول سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول سمعت أبا داود السجستاني يقول : إني عبد الله هذا كذاب . وعبد الله هو ابن أبي داود ابن سليمان بن الأشعث السجستاني الذي كذب حديث الغدير ورد عليه الطبري . (ابن عدي ، الكامل : ٤٣٦/٥) .

وقال ابن عساكر : قال الدارقطني : ثقة كثير الخطأ في الكلام على الحديث .

وقال ابن عدي : لولا إنا شرطنا أن كل من تكلم فيه نكرناه لما ذكرت ابن أبي داود ، وقد تكلم فيه أبوه وإبراهيم بن أورمه ، ونسب في الابتداء إلى شيء من النصب ، ونفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط ، ثم رده علي بن عيسى ، وأظهر فضائل علي ثم تحنيل فصار شيخاً من شيوخهم .

ورمي بالنصب لتضعيفه حديث الغدير وحديث الطير . (ابن عدي ، الكامل : ٤٣٦/٥) .

(٢) طبقات الحفاظ : ٢٥٤/٢ .

(٣) البداية والنهاية : ١٤٦/١١ .

(٤) تهذيب التهذيب : ٣٣٧/٧ .

(٥) قال الذهبي : قال الدقاق : لم أر أجود إتقاناً ولا أحسن ضبطاً منه توفي بنيسابور في جمادي الأولى سنة ثمان وسبعين وأربعمئة . (العبر في خبر من غير : ٢٨٩/٣) .

(٦) قال الطهراني في الذريعة : هو في سبعة عشر جزء فيها النص على حديث "من كنت مولاه" بالرواية عن مائة وعشرين صحابياً ، قال السيد رضى الدين على بن طائوس المتوفى ٦٦٤هـ في عمل يوم الغدير من كتابه "الإقبال" : إن كتاب الدراية هذا تأليف أبي سعيد مسعود بن ناصر السجستاني . توفي ٤٧٧هـ كما في "مرآة الجنان" و "الشذرات" ، أو ٤٧٨هـ كما في لسان الميزان ٢٨/٦ ، وحكى فيه ما حكاه أحمد بن ثابت الطبري وما ذكره ظاهر الشحامى انه كان مسعود قدريا أو يذهب إلى رأى القدرية ، وعلى أي حال فهو على ظني من المعتزلة

جبرائيل عليه السلام فأمره أن يقوم بعلي (عليه السلام) ، فقال (صلى الله عليه وآله) : " أيها الناس أستم تزعمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ ، قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : " فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، وأعز من أعزه ، وأعن من أعانه " .

قال ابن عباس : وجبت والله في أعناق القوم .

ومما رواه أحمد بن حنبل والنسائي وابن حبان والحاكم النيسابوري من رواية الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن الطفيل بن زيد بن ارقم ، ورواه النسائي أيضاً من رواية شريك قال : قلت لأبي اسحاق : أسمعت البراء يُحدِّث رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال يوم غدير خم : "من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" قال: نعم ، وأخرجه ابن أبي شيبه وأبو يعلى والبخاري من وجه آخر عن شريك عن ادريس بن يزيد الاشددي عن ابيه عن ابي هريرة، ورواه الطبري أيضاً عن طريق سليمان بن قرنة عن ابي اسحاق عن حبش بن جنادة، واخرجه النسائي أيضاً من طريق مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد عن ابيها أن النبي "صلى الله عليه وآله" أخذ بيد علي "عليه السلام" يوم غدير خم فقال "من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ^١ .

في نزول قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) وقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) ^٢ ذكر المفسرون واصحاب السنن والتواريخ من الفرق والمذاهب الإسلامية أن هذه الآيات من سورة المائدة نزلت لتتصيب أمير المؤمنين

الذين يسترون تشيعهم بعنوان الاعتزال كما ذكره صاحب الرياض في تراجم كثير منهم ، وإن كان السيد ابن طاوس عده من العامة . (الزريعة : ٥٦/٨) .

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص٢٦٨.

(٢) المائدة : من الآية ٣.

عليه السلام وصياً لرسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم بعد انصرافه صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ووقف جموع المسلمين والتي تقدر بعشرات الآلاف وبلغ حديث الغدير .

أخبرنا أبو بكر اليزدي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله السرخسي ببخارى قال : أخبرنا أبو نصر حبشون بن موسى الخلال قال : حدثنا علي بن سعيد الشامي قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شاذب ، عن مطر ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد علي فقال : " ألسنت ولي المؤمنين ؟ " ، قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، فقال عمر بن الخطاب : يخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولا كل مؤمن ، وأنزل الله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..)^١ .

وروى الخطيب البغدادي عن أبي هريرة قال : أنزل الله عز وجل (يا أيها الرسول بَلِّغْ ...) هي في علي (عليه السلام) وقال تعالى : (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) كما رواه الحسكاني عن عبد الله بن أبي أوفى في شواهد التنزيل أيضاً^٢ .

وأشار المسعودي إلى حديث الغدير قائلاً : كان يصلي معه قبل أن تظهر نبوته بسنتين ، ثم كان من قصته وقت اظهار النبوة إلى وقت مضي رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن أمر غدير خم وغيره ما هو مشهور وقد روي وذكرنا بعضه ، وقام بأمر الله جل وعلا وسنّه خمس وثلاثون سنة ، واتبعه المؤمنون وقعد عنه المنافقون ، ونصّبوا للملك وأمر الدنيا رجلاً اختاروه لأنفسهم دون من اختاره الله جل وعز ورسول الله صلى الله عليه وآله^٣ .

وأورد الشيخ السبحاني أئمة المؤرخين والحديث والمفسرين وغيرهم الذين رووا واقعة الغدير التي لا يمكن انكارها وهم :

(^١) الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل : ٢٠٣/١ .

(^٢) تاريخ بغداد : ٢٩٠/٨ .

(^٣) اثبات الوصية : ١٥٣ .

البلاذري ، وابن قتيبة ، والطبري ، والخطيب البغدادي ، وابن عبد البر ، وابن عساكر ، وياقوت الحموي ، وابن الأثير ، وابن أبي الحديد ، وابن خلكان ، والياضي ، وابن كثير ، وابن خلدون ، والذهبي ، وابن حجر العسقلاني ، وابن الصباغ المالكي ، والمقرئزي ، وجلال الدين السيوطي ، ونور الدين الحلبي إلى غير ذلك من المؤرخين الذين جادت بهم القرون والأجيال ، وذكره أيضا أئمة الحديث أمثال : الإمام الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وابن ماجه ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو يعلى الموصلي ، والبغوي ، والطحاوي ، والحاكم النيسابوري ، وابن المغازلي ، والخطيب الخوارزمي ، والكنجي ، ومحب الدين الطبري ، والحمويني ، والهيثمي ، والجزري ، والقسطلاني ، والتمقي الهندي ، وتاج الدين المناوي ، وأبو عبد الله الزرقاني ، وابن حمزة الدمشقي إلى غير ذلك من أعلام المحدثين الذين يقصر المقال عن عددهم وحصرهم ، كما تعرض له كبار المفسرين ، فقد ذكره : الطبري ، والثعلبي ، والواحدي في أسباب النزول ، والقرطبي ، وأبو السعود ، والفخر الرازي ، وابن كثير الشامي ، والنيسابوري ، وجلال الدين السيوطي ، والآلوسي ، والبغدادي ، وذكره من المتكلمين طائفة جمة في خاتمة مباحث الإمامة وإن ناقشوا نقضا وإبراما في دلالاته كالقاضي أبي بكر الباقلاني في تمهيده ، والقاضي عبد الرحمن الايجي في مواقفه ، والسيد الشريف الجرجاني في شرحه ، وشمس الدين الأصفهاني في مطالع النوار ، والتفتازاني في شرح المقاصد ، والقوشجي في شرح التجريد إلى غير ذلك من المتكلمين الذين تعرضوا لحديث الغدير وبحثوا حول دلالاته ووجه الحجة فيه ^١ .

وفي سياق بيان معنى الآية الكريمة أخرج القرشي علي بن حميد في " شمس الأخبار " نقلا عن " سلوة العارفين " للموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني والد المرشد بالله بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله أنه لما سئل عن معنى قوله : " من كنت مولاه فعلي مولاه " قال : " الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه ، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي ، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معي فعلي مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه " ^٢ .

ومن احتجاج عبد الله بن جعفر على معاوية قوله : يا معاوية إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر وأنا بين يديه ، وعمر بن أبي سلمة ، وأسامة بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد ، والزيبر بن العوام ، وهو يقول : " أأست

(١) السبحاني ، الأئمة الإثني عشر : ٤٠ - ٤١ .

(٢) الغدير : ٣٨٦/١ .

أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ " فقلنا : بلى يا رسول الله؟ قال : " أليس أزواجي أمهاتكم؟ " قلنا : بلى يا رسول الله؟ قال : " من كنت مولاه فعلي مولاه أولى به من نفسه " وضرب بيده على منكب علي فقال : " اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه؟ أيها الناس أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر ، وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر " ، إلى أن قال عبد الله : ونبينا صلى الله عليه وآله قد نصب لأمته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خم ، وفي غير موطن ، واحتج عليهم به ، وأمرهم بطاعته ، وأخبرهم أنه منه بمنزلة هارون من موسى ، وأنه ولي كل مؤمن من بعده ، وأنه كل من كان هو وليه فعلي وليه ، ومن كان أولى به من نفسه فعلي أولى به ، وأنه خليفته فيهم ووصيه ^١ .

لقد أكمل رسول الله صلى الله عليه وآله الدين ، وأتم النعمة على عباده ، ونصب أمير المؤمنين عليه السلام علماً للهدى ليهدي الأمة إلى صراط الحق المستقيم ، ويقيهم مساقط الهلكة ومهاوي الضلال ، وكان يوم الغدير هو اليوم الذي أسبغ الله تعالى فيه نعمته على المسلمين وشملهم بالرحمة الواسعة ، حتى أوردوا أخباراً صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : " من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً " ، وهذا الحديث أورده الخطيب البغدادي ^٢ ، وزعم القوم مزاعم وأقوال وتأويلات حسبوا فيها أن الأحاديث في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته للنبي صلى الله عليه وآله هي منكرة وضعيفة بعد أن زحزح اسلافهم مفاد النص وينقلبوا عليه إلى خلافة صورية ظن اللاحقون بها ظناً حسناً رضوا وآمنوا باجتهادهم مقابل النصوص الإلهية والنبوية ، وإن ذلك ليس له مبرر مقابل الأنبياء العظيمة في الكتاب الكريم والأحاديث الشريفة والصريحة من خاتم الأنبياء والمرسلين .

فمن تلك المزاعم لابن كثير الذي قال إن القول بصوم يوم الغدير يعدل ستين شهراً باطل لأنه يستدعي تفضيل المستحب على الواجب وهذا باطل لأن شهر رمضان كله يقابل بعشرة أشهر ^٣ ، ورده العلامة الأميني داحضاً مزاعمه من صحاحهم وسننهم : " من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر " ^٤ ، وصيام شوال من المستحبات .

(١) المصدر نفسه .

(٢) تاريخ بغداد : ٢٩٠/٨ .

(٣) البداية والنهاية : ٢١٤/٥ .

(٤) الغدير : ١٨٤/١ ، من صحيح مسلم : ٣٢٣/١ ؛ سنن أبي داود : ٣٨١/١ ؛ مسند أحمد : ٤١٧/٥ .

٤. زيادة في حديث لم تروى في الصحيحين

كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي اختصت بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام قد أخفيت في صدور الرواة لأسباب عديدة أهمها الخوف من الحاكم والسلطان لمحاولات طمس فضائله عليه السلام وأحقيته بالخلافة المنصوص عليها من رسول الله صلى الله عليه وآله .

وكثيراً ما كان الرواة يتعرضون لتهمة التحدث بروايات وأحاديث فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام ، وهددوا بالقمع والاضطهاد ، ومنهم من الصحابة كأبي ذر وعمار وغيرهم فُمع وأُضطهد ، ومنهم من هُدد وُضرب كأبي هريرة وغيره ، وكان هذا الأمر يحدث منذ عهد أبي بكر وعمر وعثمان مروراً بالعصر الأموي والعباسي وباقي العصور والعهود .

في حديث صريح ذكرناه في أكثر من موضع جاء في الجمع بين الصحيحين للحميدي في الحديث التاسع من المتفق عليه من مسلم والبخاري من سند عبد الله بن أبي أوفى عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي أوصى؟ فقال: لا ، فقلت : فكتب على الناس الوصية وأمر بالوصية ؟ ، فقال : أوصى بكتاب الله ^١ .

قال الحميدي: وفي حديث ابن مهدي زيادة ذكرها أبو مسعود وأبو بكر البرقاني ولم يخرجها البخاري ولا مسلم عندنا في كتابيهما ، قال مالك بن مغول ، قال طلحة ، وقال الهذيل بن شرحبيل : أبو بكر رضي الله عنه كان يتأمر على وصي رسول الله ، ودّ أبو بكر أنه وجد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهداً فحزم أنفه بخزامة ^٢ .

وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي في الحديث الخامس والأربعون بعد المائة عن الأسود بن يزيد قال : ذكرت عند عائشة أن علياً كان وصياً ، قالت : متى أوصى إليه وقد كنت مسندته

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص٢، و ج٦، ص١٨. صحيح مسلم، ج٣، ص١٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه : ٣٨٢/٤ .

إلى صدري ، أو قالت حجري ، فدعا بالطست فلقد انخنت في حجري فما شعر أنه مات ، فمتى أوصى إليه ^١ .

قال الحميدي : قال أبو مسعود : وفي حديث أزهر قال : يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى إلى علي .

قال الحميدي : وليس في حديث أزهر من كتاب البخاري هذا اللفظ : يزعمون أنه أوصى إلى علي ^٢ .

٥. تعقيب على فرية ترك النبي صلى الله عليه وآله للوصية

هل يصلح أو يجوز أن يصفوا خير البشر بهذه السلبية في أمر الوصية ، حيث لا يرقى إلى حرص من تولى الأمر من بعده والذين أوصوا كلهم واستخلفوا وأحدهم لم يكتفي بواحد بل أوصى إلى ستة أنفس.

وما الذي دعا هؤلاء الذين أخبروا عائشة بأمر الوصية في علي عليه السلام وإعراضها عن ذلك إذا لم يكونوا سمعوا ذلك ووعوه فذكروا به ، وهل كانوا يختلقون ذلك أم كانت الدلائل والأحداث تشير إلى ذلك.

ولا يستغرب هذا الإعراض من عائشة ، فهي لم يسعها ذكر اسمه وهو أحد من توكأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه للذهاب للصلاة بالناس، فكيف بها لا تعرض عن أمر يخص الوصية والخلافة ، فقد روى عبد الرزاق الصنعاني في المصنف عن الزهري عن عبيد الله بن مسعود، عن عائشة قالت: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما ثقل أتاه مؤذنوه الثلاثة بلال، وابن أم مكتوم ، وعبد الله بن زيد ، فقال: صلوا ، فخرجوا من عنده ، فوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) خفه فقام ولم يقدر على النهوض ، فتوكأ على رجلين أحدهما الفضل بن العباس، فوضع يده على منكبيهما حتى خرج ، فصلى بالناس.

قال عبيد الله : فحدثت بذلك عبد الله بن عباس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ فقلت:

(١) الجمع بين الصحيحين : ٤ / ١٦٤ ، مسند عائشة .

(٢) حديث أزهر في البخاري : المغازي ١٤٨/٨ ، ٤٤٥٩ ؛ وفي الجمع بين الصحيحين ١٦٤/٤ مسند عائشة .

لا، فقال: هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولكنها لا تقدر أن تذكره بخير ولا تستطيع^١.

٦. خطبته صلى الله عليه وآله بعد الصلاة وفيها النص بالوصية

دعا النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لما ثقل في مرضه ، فوضع رأسه في حجره وأغمي عليه ، وحضرت الصلاة فأذن بها فخرجت عائشة فقالت : يا عمر اخرج فصل بالناس ، فقال لها : أبوك أولى بها مني ، فقالت : صدقت ، ولكنه رجل لين ، وأكره أن يواشبه القوم ، فصل أنت ، فقال لها : بل يصلي هو ، وأنا أكفيه إن وثب واثب ، أو تحرك متحرك ، مع أن رسول الله مغمى عليه ، ولا أراه يفيق منها ، والرجل مشغول به ، لا يقدر أن يفارقه - يعني علياً عليه السلام - فبادروا بالصلاة قبل أن يفيق فإنه إن أفاق خفت أن يأمر علياً بالصلاة ، وقد سمعت مناجاته له منذ الليلة ، وفي آخر كلامه يقول لعلي عليه السلام : الصلاة ، الصلاة ، قال : فخرج أبو بكر يصلي بالناس ، فظنوا أنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلم يكبر حتى أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : أدعو لي عمي - يعني العباس ، رضي الله عنه - فدعي له فحمله وعلي عليه السلام ، حتى أخرجاه فصلى بالناس وإنه لقاعد ، ثم حمل فوضع على المنبر بعد ذلك فاجتمع لذلك جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى برزت العواتق من خدورها ، فبين بالكِ وصائح ، ومسترجع ، وواجم ، والنبي عليه السلام يخطب ساعة ، ويسكت ساعة ، فكان فيما ذكر من خطبته أن قال :

" يا معشر المهاجرين والأنصار ، ومن حضر في يومي هذا ، وفي ساعتني هذه من الإنس والجن ليلبغ شاهدكم غائبكم ، ألا إني قد خلفت فيكم كتاب الله فيه النور والهدى ، والبيان لما فرض الله تبارك وتعالى من شئ حجة الله عليكم وحجتي وحجة وليي . وخلفت فيكم العلم الأكبر ، علم الدين ، ونور الهدى ، وضيائه وهو علي بن أبي طالب ، ألا وهو حبل الله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)^٢ .

(١) المصنف، ج٥، باب بدء مرض رسول الله "صلى الله عليه وآله"، ص٤٢٩.

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

أيها الناس : هذا علي من أحبه وتولاه اليوم ، وبعد اليوم ، فقد أوفى بما عاهد عليه الله ، ومن عاداه وأبغضه اليوم ، وبعد اليوم جاء يوم القيامة أصم وأعمى ، لا حجة له عند الله . أيها الناس لا تأتوني غدا بالدنيا تزفونها زفا ، ويأتي أهل بيتي شعنا غبرا مقهورين مظلومين تسيل دماؤهم ، إياكم واتباع الضلالة والشورى للجهالة ، ألا وإن هذا الأمر له أصحاب قد سماهم الله عز وجل لي وعرفنيهم وأبلغتكم ما أرسلت به إليكم ولكني أراكم قوما تجهلون ، لا ترجعوا بعدي كفارا مرتدين تتأولون الكتاب على غير معرفة ، وتبتدعون السنة بالأهواء ، وكل سنة وحديث وكلام خالف القرآن فهو زور وباطل ، القرآن إمام هاد ، وله قائد يهدى به ، ويدعو إليه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهو علي بن أبي طالب ، وهو ولي الأمر بعدي ، ووارث علمي ، وحكمتي ، وسري ، وعلانيتي ، وما ورثه النبيون قبلي ، وأنا وارث ومورث فلا تكذبكم أنفسكم .

أيها الناس : الله الله في أهل بيتي ، وأنهم أركان الدين ، ومصابيح الظلام ، ومعادن العلم ، علي أخي ، ووزيري ، وأميني والقائم من بعدي بأمر الله ، والموفي بدمتي ، ومحبي سنتي ، وهو أول الناس إيمانا بي ، وآخرهم بي عهدا عند الموت ، وأولهم لقاء إلى يوم القيامة ، فليبلغ شاهدكم غائبكم .

أيها الناس : من كانت له تبعة فما أنا ذا ، ومن كانت له عدة أو دين فليأت علي بن أبي طالب ، فإنه ضامن له كله حتى لا يبقى لأحد قبلي تبعة " ١ .

المبحث الثاني

١. محاولة التأويل مقابل دلائل النص الجلية

كثير من نصوص القرآن الكريم والأحاديث تفيد بالنص على الإمامة ، وهي نصوص جلية وواضحة لكنهم لم يعتقدوا بما أراد الله تعالى والنبى صلى الله عليه وآله بهذه النصوص ، فاعتقدوا كما جاء في رسائل الشريف المرتضى أن قوله صلى الله عليه وآله : " هذا خليفتي من بعدي " أنه أراد بخليفتي في أهلي لا في جميع أمتي ، وفي نصه صلى الله عليه وآله : " سلموا على علي بأمره المؤمنين " ، قالوا إنه أراد حصول هذه الإمامة والمنزلة بعد عثمان ^١ .

قال الشريف المرتضى : إن الخفي من النصوص هو الذي ليس في صريح لفظه النص بالإمامة ، وإنما ذلك في فحواه ومعناه كخبر الغدير ، وخبر تبوك ^٢ ، والذين سمعوا هذين النصين من الرسول صلى الله عليه وآله على ضربين : عالم بمراده صلى الله عليه وآله ، وجاهل به ، ومنهم من عمل بما علم واتبع ما فهم وهم المؤمنون المتحققون ، ومنهم من أظهر أنه غير عالم ولم يعمل بما علم وهم الضالون المبطلون ^٣ .

ونظن إما أن يكونوا اعتقدوا أن من ظل عن الحق لشبهة دخلت عليه معذور غير ملوم ولا مستحق للعقاب ، وأن المستحق للذم والعقاب هو الذي عدل عنه مع العلم ^٤ .

لكنه قال : عقاب المخالفين في النص - إذا كانوا إنما عدلوا عن العمل به بالشبهة مع قيام الدليل وایضاح الطريق - أعظم عقاباً وأوفر لوماً وذمماً ، وطلحة والزبير هما في دفع النص ممن يجوز أن يكون دفع للشبهة ، كما يجوز أن يكون دفع مع العلم بمراد النبي صلى الله عليه وآله ، والذي يقطع على علمهما به ومكابرتهما فيه ما أنكره من بيعته عليه السلام بالإمامة ودعواهما أنهما كانا مكرهين ^٥ .

(١) رسائل الشريف المرتضى : ٣٣٩/١ .

(٢) هو خبر المنزلة المتواتر بين الفريقين .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه : ٣٤٣ / ١ .

أكثر كتب المذاهب الإسلامية تثبت تواتر جميع الأحاديث التي يستند إليها الشيعة إن لم تكن لفظاً فمعنى ، ومنهم إن وجد مجالاً ضيقاً للمناقشة في مدلوله ناقشه وصرفه عن ظاهره بلا دليل يقتضي ذلك ، وإن لم يجدوا مجالاً للتأويل والتحوير مثلاً في مجال الوصية والخلافة قالوا إنه خبر واحد لا يثبت خلافة بمقتضى عقيدة الشيعة .

إن علياً عليه السلام أهل للخلافة وهذا لا نزاع فيه بين المسلمين ، والخلافة بالنص واردة في الكتاب ومتواترة ومقطوع بها في السنة ، وأي خلافة إسلامية بلا نص غير شرعية ، وهل صدر مرسوم أفصح في تحديد مفهوم معالم القيادة من حديث الغدير والآيات النازلة في تبليغه أو آية التطهير وآية الولاية ، وحديث الثقلين المتواتر غاية التواتر بين جميع فرق المسلمين وفيه دلالة كافية على عصمة أهل البيت وولايتهم عليهم السلام .

والنصوص في الإمامة والخلافة مشهورة لأنها أصل الدين وقطبه ، ولوجوب النص وإفساد الاختيار أدلة ، ودليل العصمة أقواها ، فحديث الثقلين يؤكد أن التمسك بأحدهما لا يغني عن التمسك بالآخر ، ولا يجوز أن يصدر الخطأ من عدل القرآن وإلا لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله بعدم ضلال الأمة إن تمسكت بهما .

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل على عصمتهم وتوجب التمسك بهم مثل قوله صلى الله عليه وآله : " أنا مدينة العلم وعلي بابها " ، وقوله : " علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيف دار " ، وكثير من الأحاديث .

الإمامة امتداد للرسالة ، ولا يؤتمن على الشريعة من يُضَيِّع بعض أحكامها ، ومن لا يمكنه حفظها ، والرسالة لا يمكن أن تُبَلِّغ إلا بعصمة حاملها ، ويأبى العقل إلا أن يكون القائم على دوامها معصوماً أيضاً ، ومعنى غير المعصوم كبقية أفراد جنسه تلازمه عناصر الضعف ، وتملي عليه تصرفاته المنافية للواقع المراد ، وتحميل الله رسالته للذي يضيعها ولو جزئياً يكون نقصاً لغرضه وإلزاماً منه سبحانه بالمفسدة لأمرنا بامتثال أوامره وتقويتاً لمصلحة الواقع على المكلفين ، وكل تلك اللوازم مستحيلة على المولى الحكيم ، ومن السخف القول بالعصمة في الأول دون الثاني ، والخطأ الوارد من غير المعصوم يلزم نفور النفوس منه ^١ .

وحامل الرسالة الإلهية والمأمور في تبليغها لا بد أن يكون أميناً قادراً على التبليغ ، وغير المعصوم غير أمين وغير قادر على التبليغ ولو من جهة الغفلة والنسيان ، فما يكون موصوفاً به

حامل الرسالة ابتداءً فحافظها بقاءً لا بد أن يكون بنفس الصفة من العصمة بحكم العقل وإلا لزم تضييع الرسالة كلاً أو بعضاً ، والخليفة عن الرسول لا بد أن يكون معصوماً ، وبما أن العصمة لم تثبت لغير علي عليه السلام ومن نص عليهم من الأئمة الأطهار ، ولم يدعها أحد غيرهم ، انحصرت شرعية الخلافة بهم دون غيرهم ، ومن عداه لا دليل على شرعية خلافته ^١ .

وآية التطهير لا يصح القول والتأويل بأنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله كما قالوا وذلك لقوله تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرِحَنَّ سَرَاةً جَمِيلاً ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ، يَأْتِيَنَّ النَّبِيَّ مِنَ الْمَكُنِّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ...) ونقول هنا آية التطهير بعيدة كل البعد عن نساء النبي صلى الله عليه وآله على اعتبار أن الله تعالى قد إستثنى بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله في (من التبعية) (مِنْكُنَّ) في قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) .

والله تعالى أكد على تمييز وتعيين أهل البيت عليهم السلام بتغيير الخطاب في آية التطهير الى أهل البيت وهم أصحاب الكساء إذ قال: (وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا) ولم يقل: ويطهركن بما لا يصلح للاناث، حرصاً من الله تعالى لبيان عصمة وطهارة أهل البيت المشار اليهم في الآية .

وفي حديث أم سلمة أنه صلى الله عليه وآله أرسل خلف علي وفاطمة وولديهما عليهم السلام ، فجاءوا فأدخلهم تحت الكساء ، ثم جعل يقول: " اللهم اليك لا إلى النار ، اللهم هؤلاء لأهل بيتي وخاصتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " ، قالت أم سلمة : فقلت يا رسول الله ، ألسنت من أهل بيتك ؟

قال: " أنتِ إلى خير " ، وهو نص في أهل البيت ، ظاهر في أن نساءه لسنّ منهم ، لقوله لأم سلمة : " انتِ إلى خير " ، ولم يقل : بلى انتِ منهم ^٢ .

ومما قاله المقرئزي: قال السيد خاتمة المحققين يحيى بن عمر: من المعلوم المقطوع به عند

(١) المصدر نفسه : ٩٧ .

(٢) المقرئزي ، فضل آل البيت : ٦٨ .

اهل السنة أن إرادته تعالى أزلية وأنها من صفات الذات القديمة بقدمها الدائمة دوامها، وقد علق الله تعالى الحكم بها، إذ احكام صفات الذات القديمة وقيام الحوادث بها، وكل منهما يستحيل قطعاً تعالى الله عن ذلك ، حتى قال جمع من المشايخ العارفين: يجب على كل مسلم أن يعتقد أن لا تبديل لما إختص الله تعالى به أهل البيت بما أنزل الله فيهم ، إذ شهادته لهم بالتطهير وازهاب الرجس عنهم في الأزل على الوجه المذكور ^١ .

وعن العلامة نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي في كتاب الاشارات الإلهية في المباحث الأصولية قوله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)^٢ احتج بها الشيعة على أن أهل البيت معصومون، ثم على أن اجماعهم حجة ، أما إنهم معصومون فلأنهم طُهِرُوا ، وأذهب الرجس عنهم، وكل من كان كذلك فهو معصوم ، والرجس اسم جامع لكل شر ونقص، والخطأ وعدم العصمة ، فيكون ذلك مندرجاً تحت عموم الرجس الذاهب عنهم ، فتكون الإصابة في القول والفعل والاعتقاد، فالعصمة بالجملة ثابتة لهم ^٣ .

وأيضاً فلأن الله عز وجل طهرهم، وأكد تطهيرهم بالمصدر حيث قال: (وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً) أي يطهركم من الرجس وغيره تطهيرا ، إذ هي تقتضي عموم تطهيرهم من كل ما ينبغي التطهير فيه عرفاً، أو عقلاً، أو شرعاً، والخطأ وعدم العصمة داخل تحت ذلك، فيكونون مطهرين منه، ويلزم من ذلك عموم اصابتهم وعصمتهم ، وأكدوا دليل عصمتهم من الكتاب والسنة في علي "عليه السلام" وحده، وفي فاطمة "عليها السلام" وحدها، وفي جميعهم ^٤ .

ومن تفسير الثعلبي بإسناده إلى مجمع من بني حارث بن تيم الله قال : دخلت مع أمي علي عائشة ، فسألته أمي قالت : رأيت خروجك يوم الجمل ؟
قالت : إنه كان قدراً من الله تعالى ، فسألته عن علي (عليه السلام) فقالت : سألتيني عن أحب الناس كان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقد جمع رسول الله بغدق عليهم ، ثم قال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٠ نقلاً عن رشفة الصادي، ص ٤٧ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) فضل آل البيت : ٩٠ .

(٤) المصدر نفسه .

تظهيراً " ١ .

٢. إشتهار لقب الوصي في الأحاديث

كان لقب الإمام علي عليه السلام بالوصي مشهوراً في الصدر الإسلامي الأول ، وكان مشهوراً بأنه وصي الرسول صلى الله عليه وآله حتى أصبح الوصي لقباً له كما كان مشهوراً بكنيته أبي تراب .

واستشهد المبرد على قوله بأن الإمام علياً كان مشهوراً بلقب الوصي بما ورد في شعر أبي الأسود الدؤلي قوله :

أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا^٢

عندما كانوا يتكلمون عن وصي خاتم الأنبياء ما كانوا يعنون غير ولي عهده من بعده وإن أنصار الإمام علي عليه السلام عندما كانوا يذكرون الوصية في خطبهم وأشعارهم يحتجون بها على حق الإمام علي عليه السلام في الحكم مثل أبي ذر على عهد عثمان ، ومالك الأشتر يومبيعة الإمام علي ، ومحمد بن أبي بكر في كتابه لمعاوية ، والمهاجرين والأنصار في أشعارهم في الجمل وصفين ، والإمام الحسن عندما خطب لبياع له ، والإمام الحسين عندما خطب على جيش الخلافة بكرباء ، كلهم كانوا يحتجون بالوصية لأنها كانت تشير إلى جميع النصوص التي وردت بحقهم وتشملها فكانهم في احتجاجهم بالوصية يدلون بجميع تلك النصوص وإن قيام العلويين المطالبين بالحكم لم تنته باستشهاد الإمام الحسين وإنما استمرت ثوراتهم على الخلفاء حتى عصر العباسيين وكان في مقدمة ما يضايق المخالفين في كل تلك القرون في المعركة السياسية شهرة الإمام علي بأنه وصي النبي لما كان يحتج بها المطالبون بالحكم من العلويين باعتبار أنها تدل

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٤٣/٨ ؛ ابن البطريق ، العمدة : ٤٠ ، ح ٢٣ عن الكشف والبيان للثعلبي ؛ إحقاق الحق : ٥٢/٩ ، عن تفسير الكشف والبيان للثعلبي ؛ شواهد التنزيل : ٢٢/٢ ؛ بحار الأنوار : ٢٢٢/٣٥ .

(٢) الكامل : ١٥١/٢ .

كما ذكرنا آنفاً على نص النبي صلى الله عليه وآله بحق الإمام علي وولده في الحكم ، ومن ثم لما أراد المأمون تهدئة ثورات العلويين تظاهر بالاستدلال بالوصية وولى الإمام الرضا للعهد من بعده وبذلك هدأ العلويون في كل مكان وجلب رؤوسهم إلى عاصمته وقضى على جلهم بالسهم وانتصر عليهم ، إذاً فإن شهرة الإمام علي بالوصية كانت معضلة مدرسة الخلفاء مدى القرون فكيف حل سيف هذه المعضلة ^١ .

ومن النصوص الجلية التي لا تقبل الإيهام ولا تستوجب الإضلال التي يوردها الطبراني وقد أوهموا فيها وأولوا ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، ثنا إبراهيم بن الحسن الثعلبي ، ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح بن عبد الله عن سماك بن حرب ، عن أبي سعيد الخدري عن سلمان قال : قلت يا رسول الله لكل نبي وصي فمن وصيك فسكت عني فلما كان بعد رأيي فقال : " يا سلمان " ، فأسرعت إليه قلت : لبيك ، قال : " تعلم من وصي موسى " ، قلت : نعم يوشع بن نون ، لأنه كان أعلمهم وإن وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب " .

قال أبو القاسم قوله وصيي يعني أنه أوصاه في أهله لا بالخلافة ، وقوله خير من أترك بعدي يعني من أهل بيته صلى الله عليه وسلم ^٢ .

ومن الشواهد على الوصية روى ابن شهر آشوب في مناقبه عن أبي رافع قال : لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله "صلى الله عليه وآله" غشي عليه ، فأخذت بقدميه أقبلها وأبكي ، فأفاق وأنا أقول : من لي ولولدي من بعدك يا رسول الله ، فرفع اليّ رأسه وقال : الله بعدي ووصيي صالح المؤمنين ^٣ .

وكذلك أحمد بن حنبل في المسند مسنداً إلى أنس بن مالك قال : قلنا لسلمان "رضوان الله عليه : " سل النبي (صلى الله عليه وآله) من وصيه ؟ فقال له سلمان : يا رسول الله من وصيك ؟ فقال : " يا سلمان من كان وصي موسى ؟ " ، قال : يوشع بن نون ، قال : " قال وصيي ووارثي

(١) العسكري ، مرتضى ، معالم المدرستين : ٢٧٧/١ .

(٢) المعجم الكبير : ٢٢١/٦ .

(٣) المناقب ، ج ٣ ، ص ٥٨ .

يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب " ١ .

وذكر المسعودي قائلاً : ولد علي عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة ، فأحبه رسول الله حباً شديداً ، وقال لفاطمة - أي فاطمة بنت أسد - يا أمه اجعلي مهد علي بجانب فراشي ، وكان صلى الله عليه وآله يلي تربيته ويؤجره اللبن في ساعة رضاعة ، ويحرك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ، ويحمله على صدره تارة وعلى عاتقه أخرى ، ويتكفنه ويقول : " هذا أخي ووليي وناصري ووصفي ووصيي وذخيرتي وكهفي وصهري وزوج كريمتي وأميني على وصيتي . ٢

واشتهرت الأحاديث التي تنص على أن علياً عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأله بما لا يدعو إلى الإنكار وصرف انظار المسلمين وتضليلهم بأحاديث باطلة مصطنعة ، وألف كثير من علماء المذاهب الإسلامية كتباً في فضائل أمير المؤمنين وأنه الوصي والخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومنها مختصة بالوصية .

واخرج والخطيب البغدادي وابن اسحاق عن سلمان قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: " إن الله تعالى قد بعث أربعة آلاف نبي وكان لهم أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط ، فوالذي نفسي بيده لأننا خير النبيين ووصيي خير الوصيين وسبطاي خير الأسباط " ٣ .

وخصال أمير المؤمنين عليه السلام تستوجب أن يختاره الله ورسوله لهذا المنصب الإلهي ؛ لأنها صفات خصه الله تعالى بها دون غيره ، وقد ذكر منها ذكرها ابن البطريق عن ابن عباس قال :

قال له رسول الله صلى الله عليه وآله لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً ، يحب الله ورسوله ، قال : فاستشرف لها من استشرف ، فقال : أين على ؟ فقالوا : هو في الرحا يطحن قال : وما كان أحدكم ليطن ، قال : فجاء وهو أرم ، لا يكاد يبصر ، قال : فنفت في عينه ، ثم هز الراية ثلاثاً ،

(١) مسند احمد، كتاب الفضائل، ج٢، ص٦١٥.

(٢) اثبات الوصية : ١٥٢ .

(٣) الخطيب البغدادي، تلخيص المتشابه، ج١، ص٥٤٤، رقم ٩١٥. سيرة ابن اسحاق، ص١٢٤.١٢٥، ذيل

حديث بنيان الكعبة وما بين المعقودتين منها.

فأعطاه إياه ، فجاء بصفية بنت حي ، قال ثم بعث فلانا بسورة التوبة ، فبعث عليا خلفه ، فاخذها منه ، وقال : لا يذهب بها الا رجل منى وانا منه ، وقال لبني عمه : أيكم يوالي في الدنيا والآخرة ؟ وعلي جالس معهم فأبوا ، فقال علي عليه السلام : انا أواليك في الدنيا والآخرة ، قال : أنت وليي في الدنيا والآخرة .

واخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

ولبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم نام مكانه ، قال : وكان المشركون يتوهمون ، أنه رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء أبو بكر وعلي عليه السلام نائم ، وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال : يا نبي الله ، فقال له علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون ، فأدركه ، فانطلق أبو بكر ، فدخل معه الغار ، قال : وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله صلى الله عليه وآله وهو يتضور ، قد لف رأسه في الثوب ، لا يخرج حتى أصبح ثم كشف عن رأسه ، فقالوا : انك للثيم ، كان صاحبك نراميه ، فلا يتضور وأنت تتضور ، وقد استتكرنا ذلك .

وخرج بالناس في غزاة تبوك ، فقال له علي عليه السلام : اخرج معك ؟

فقال له نبي الله صلى الله عليه وآله : لا ، فبكى علي ، فقال له : "أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي ، إنه لا ينبغي ان اذهب الا وأنت خليفتي " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : " أنت وليي في كل مؤمن بعدى ومؤمنة " .

وقال : " سدوا أبواب المسجد ، غير باب علي " ، فيدخل المسجد جنبا وهو طريقه ، ليس له طريق غيره ، وقال : " من كنت مولاه فان عليا مولاه " ^١ .

وقال الشريف الرضي : ذكروا أن ضرار بن ضمرة الضبابي دخل على معاوية بن أبي سفيان وهو بالموسم ، فقال له : صف عليا قال : أو تعفني ؟ قال : لا بد أن تصفه لي ، قال : كان والله أمير المؤمنين عليه السلام طويل المدى ، شديد القوى ، كثير الفكرة ، غزير العبرة ، يقول فصلا

، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطلق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا دعوناه ويعطينا إذا سألناه ، ونحن والله مع قربه لا نكلمه لهيبته ، ولا ندنو منه تعظيما له ، فإن تبسم فعن غير أشرف ولا اختيال ، وإن نطق فعن الحكمة وفصل الخطاب ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، ولا يطمع الغني في باطله ، ولا يونس الضعيف من حقه ، فأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا ، يا دنيا ، إليك عني أبي تعرضت ؟ أم لي تشوقت ؟ لا حان حينك ، هيهات ، غري غيري ، لا حاجة لي فيك ، قد طلفتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعيشك قصير ، وخطرك يسير ، وأملك حقير ، آه من قلة الزاد وطول المجاز ، وبعد السفر وعظيم المورد .

قال : فوكفت دموع معاوية ما يملكها ، وهو يقول : هكذا كان علي ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزني عليه والله حزن من ذبح واحدها في حجرها فلا ترقأ دمعها ولا تسكن حرارتها ^١ .

ومما يدل على ظهور النص من النبي صلى الله عليه وآله على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة بعده أن الحديث بذلك اشتهر حتى عرفته النساء واحتججن به عند أعدائه ، فقد ذكر ابن عبد ربه في الجزء الأول من كتاب العقد الفريد قول دارمية الحجونية لمعاوية : إنني أحببت علياً على عدله في الرعية وقسمته بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الولاية وعلى حبه للمساكين واعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك في الهوى ^(٢) .

٣. آية الولاية والإمامة العامة

الآية من سورة المائدة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ^٣ جاءت صريحة أنها نزلت في أمير المؤمنين "عليه السلام" وفي جميع كتب

(١) خصائص الأئمة : ٧١ .

(٢) العقد الفريد : ١٦٨/١ .

(٣) المائدة: ٥٥ .

التفسير إلا ما شد منها .

فما جاء في كتاب الاحتجاج من خطبة الغدير قوله صلى الله عليه وآله :

" معاشر الناس: ما قصرت في تبليغ ما أنزل الله تعالى إلي، وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية: ان جبرئيل "عليه السلام" هبط الي مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي وهو السلام ان اقوم في هذا المشهد فأعلم كل أبيض واسود ان علي بن ابي طالب "عليه السلام" اخي ووصيي وخليفتي والامام من بعدي، والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، الذي محله مني محل هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وهو وليكم من بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية من كتابه (إنما وليكم الله ورسولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) وعلي بن ابي طالب اقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راعع يريد الله عز وجل في كل حال. وسألت جبرئيل ان يستعفي لي عن التبليغ اليكم ايها الناس لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المنافقين وادغال الآثمين وختل المستهزئين بالاسلام الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونونه هيناً وهو عند الله عظيم، وكثرة اذاهم لي في غير مرة حتى سموني أذنأ . أي الرجل الذي يستمع لما يقال اليه . وزعموا اني كذلك لكثرة ملازمته اياي واقبالي عليه، حتى انزل الله عز وجل في ذلك قرآناً (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ...)^١ ولو شئت ان أسمى بأسمائهم لسميت وان أومئ اليهم بأعيانهم لأومأت وان ادل عليهم لدلت، ولكني والله في امورهم قد تكرمت، وكل ذلك لا يرضي الله مني الا ان ابلغ ما انزل الي، ثم تلى "صلى الله عليه وآله" (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) في علي (وإن لم تفعل فما بلغت رسالتهُ والله يعصمك من الناس)

فاعلموا معاشر الناس ان الله قد نصبه لكم ولياً واماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر، وعلى الأعجمي والعربي والحر والمملوك والصغير والكبير وعلى الأبيض والاسود وعلى كل موحد ماض حكمه جائز قوله نافذ امره، ملعون من خالفه مرحوم من تبعه مؤمن من صدقه، فقد غفر الله له ولمن سمع منه واطاع له " ٢ .

قال الزمخشري : من تجب موالاتهم بقوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة ، فإن قلت : قد ذكرت جماعة ، فهلا قيل إنما أولياؤكم. قلت: أصل الكلام: إنما وليكم الله ، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك اثباتها له تعالى

(١) التوبة: ٦١ .

(٢) الاحتجاج : ١ / ٧٤ .

اثباتها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والذين آمنوا وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاختبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا وقيل: هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وانها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه، كأنه كان مرجأ^١ فلم يتكلف لخلعه كثير تحمل تفسد بمثله صلاته^٢ .

وقال الآلوسي البغدادي في تفسيره: (إنما) مفيدة للحصر وقال الآلوسي: فأنشأ حسان يقول:

أبا حسن تفديك نفسي	وكل بطيء في الهدى ومسارع
أذهب مدحيك المحبر ضائعاً	وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي اعطيت إذ كنت	زكاة فدتك النفس ياخير راكع
فأنزل الله فيك خير ولاية	وأثبتها أثنا كتاب الشرائع ^٣

وعن سعد بن ظريف عن الاصبع قال: سئل سلمان الفارسي عن علي وفاطمة "عليهما السلام"، فقال سلمان: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: "عليكم بعلي فإنه مولاكم فاحبوه، وكبيركم فاتبعوه وعالمكم فاكرموه، وقائدكم إلى الجنة فعزروه، وإذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه، وأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي، ما قلت لكم في علي إلا ما أمرني به ربي جلت عظمتة^٤ .

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^٥ ، قال قوم : إنها نزلت في علي عليه السلام ، ويدل عليه وجهان : الأول : أنه عليه السلام لما دفع الرابية

(١) أي فلماً غير ثابت.

(٢) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل والأقويل، تفسير سورة المائدة : ١ / ٦٢٣ .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : تفسير سورة المائدة ٦ / ١٦٧ .

(٤) الخوارزمي، مناقب أمير المؤمنين "ع"، ص ٢٢٦. الحموي، فرائد السمطين، ج ١، ص ٧٨.

(٥) سورة المائدة: الآية ٥٤.

إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال : " لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " ، وهذا هو الصفة المذكورة في الآية ، والوجه الثاني : أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وهذه الآية في حق علي ، فكان الأولى جعل ما قبلها أيضاً في حقه ^١ .

ويعقب الرازي أن هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية من الروافض ، وجب أن يقال : إنها نزلت في حق أبي بكر والدليل عليه وجهان الأول : أن هذه الآية مختصة بمحاربة المرتدين ، وأبو بكر هو الذي تولى محاربة المرتدين على ما شرحنا ، ولا يمكن أن يكون المراد هو الرسول عليه السلام لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين ، ولأنه تعالى قال : (فسوف يأتي الله) * وهذا للاستقبال لا للحال ، فوجب أن يكون هؤلاء القوم غير موجودين في وقت نزول هذا الخطاب ^٢ .

إن الله تعالى لو كان يحب أبا بكر لشملة في السكينة التي أنزلها على رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ، ولو أحبه رسول الله لشاع ذكره في الحديث كما شاع حبه صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ، ولو كان محبوباً عند الله تعالى وأهل للصعاب وفي المواقف الصعبة الحرجة لشرفه الله بتجهيز وتكفين النبي صلى الله عليه وآله وحضور جنازته ودفنه ، وما عرفنا له منقبة في جهاد الأعداء ليكون شديداً على الكافرين ، أما ما وضعوه فيه فهي خصال وصفات وفضائل موضوعة لأبي بكر وغيره ومعروفة مكشوفة ، ولو أحبه الله ورسوله لما صدَّ صلى الله عليه وآله عنه عندما ذُكر إسمه في مرضه كما رووه عن عائشة عندما قال ادعوا لي حبيبي قاصداً علياً عليه السلام وأرادت أن تأتي بأبي بكر فرفض وصد عنها ، ومتى كان أبو بكر متخصصاً بالحروب والجهاد أو كان محارياً وقد جنبه أصحابه في خيبر وغيرها ، فمن أين جاء هذا الحب من الله ورسوله ؟.

وكثير من حالات الإعراض وعدم الرضا التي أبدتها رسول الله صلى الله عليه وآله من مواقف المثبتين فمنها أيضاً عندما شاور النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في الخروج لقريش قبيل معركة بدر فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه، قال عمر : يا رسول الله

(١) التفسير الكبير : ٢٠/١٢ .

(٢) المصدر السابق .

إنها والله قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت والله ما آمنت منذ كفرت والله لا تسلم عزها أبداً ولتقاتلنك ما تهب لذلك أهفته وأعد لذلك عدته، فقال المقداد بن عمرو الكندي: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)^١ .

ولكن إذهب أنت وربك وقاتلنا إنا معكم مقاتلون، ثم قال المقداد : فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل^٢ .

واخرج مسلم: إن رسول الله "صلى الله عليه وآله" شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه ، فقام سعد بن عباد : فقال إيانا تريد يا رسول الله ، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها في البحر لخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا^(٣) .

وهذا الاعراض لا ينتهي من رسول الله صلى الله عليه وآله لخلفاء الشورى ففي يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ " ، قالوا : وما حقه ، قال : " يضرب به العدو " ، فقال عمر : أنا ، فأعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثم عرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الشرط فقام الزبير فقال : أنا ، فأعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى وجد عمر والزبير في أنفسهما^٤ .

وهل يعقل أن الله تعالى أنزل هذه الآية بمن سوف يعتدي على حرمة المسلمين ، فقد ذكر ابن حجر أن خالداً وجيشه وصلوا الى قوم مالك ورأوهم يؤذنون وقد أقاموا الصلاة ومع ذلك قتلوهم ، وكانت زوجة مالك فائقة الجمال، وقد عرف مالك بأنه مقتول لا محالة حيث قال: هذه

(١) المائة: ٢٤ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٢١٩/٣ ، مسند أنس بن مالك .

(٣) صحيح مسلم : ١٧٠/٥ ، باب فتح مكة ، ذكر سعد بن عباد وليس المقداد ؛ وكذلك جاء هذا الحديث في شرح صحيح مسلم للنووي: ١٤٠/١٢ ؛ وامتناع الاسماع للمقريزي : ٢٤٠/٩ .

(٤) مغازي الواقدي : ٢٥٩/١ .

التي قتلتي ، أي بسبب جمالها سوف يقتلني خالد ابن الوليد ليتخلص مني بذريعة الزكاة، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الزكاة، فقال مالك: إني على الاسلام، إلا أن خالداً أمر بضرب عنقه والزنا بزوجته^١ .

وحسب ما قال أبو قتادة الأنصاري الذي عاهد الله أن لا يشهد مع خالد حرباً أبداً بعد واقعة مالك : وضعوا السلاح ثم صلينا وصلوا ومع ذلك فإن خالد قدّم مالك وضرب عنقه واعناق أصحابه غيلة^٢ .

وجاء في التفسير الأصفي للكاشاني (فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) : يحبهم الله ويحبونه ، قد سبق معنى المحبة من الله ومن العباد ، (أدلة على المؤمنين) : رحماء عليهم ، من الذل الذي هو اللين ، لا من الذل الذي هو الهوان ، (أعزة على الكافرين) : غلاظ شداد عليهم ، من عزه إذا غلبه ، (يجاهدون في سبيل الله) بالقتال لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه ، (ولا يخافون لومة لائم) فيما يأتون من الجهاد والطاعة ، قال : هم أمير المؤمنين وأصحابه ، حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين ، وقال عليه السلام يوم البصرة : " والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلاها " ^٣ .

قال السيد الطباطبائي : ولا يوجد فيه أدنى اختلاف في النظم المتشابه ، كتابا متشابهها مثاني ولم يقع في المعارف التي ألقاها والأصول التي أعطها اختلاف يتناقض بعضها مع بعض وتنافي شئ منها مع آخر ، فالآية تفسر الآية والبعض يبين البعض ، والجملة تصدق الجملة كما قال علي عليه السلام : " ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض " ^٤ .

ويؤيد ذلك أيضا إنذار رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بقتال علي عليه السلام لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا : يا محمد إن أرقائنا لحقوا بك فاردهم

(١) الإصابة ج٥، ص ٥٦٠ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢٧٣/٢ .

(٣) الفيض الكاشاني ، التفسير الأصفي : ٢٨٠/١ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ٦٦/١ .

إلينا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : " لتنتهن يا معاشر قريش أو لبيعثن الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله " ، فقال له بعض أصحابه : من هو يا رسول الله ؟ أبو بكر ؟ قال : " لا ، ولكنه خاصف النعل في الحجرة " ، وكان علي عليه السلام يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ^١ .

وحديث خاصف النعل يتعارض مع ما فسره الرازي ، ونقل جميع المحدثين فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : " إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله " ، قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ ، قال : " لا " ، قال عمر : أنا يا رسول الله ؟ قال : " لا ، ولكنه خاصف النعل " ، وكان أعطى علياً نعله يخصفها ^٢ .

(١) المصدر نفسه : ٣٨٧/٥ .

(٢) شواهد التنزيل : ٥٣٥/١ .

المبحث الثالث

مصاديق تغيب الوصية وإنكارها

١. منع النبي صلى الله عليه وآله من كتابة وصيته :

في خبر هم متفقون على حدوثه وصحته أن النبي "صلى الله عليه وآله" دعا عند موته بصحيفة ليكتب كتاباً لا يضلون بعده فخالف عمر بن الخطاب حتى رفضها (١) .

لقد وجدوا ان أفضل وسيلة لتحطيم وصية النبي "صلى الله عليه وآله" وافراغها من محتواها هي اتهام نبي البشرية بالهجر لأن النبي صلى الله عليه وآله قد إشتراط في الوصية كمال العقل، فوجدوا أن أفضل سبيل لذلك هو إتهامه بالهجر أي الهديان وفقدان العقل والعياذ بالله ، وقد قال تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَا حِبْكَمُ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ) (٢).

فمنعوا النبي صلى الله عليه وآله من كتابة وصيته وعارضوه لأنهم فهموا معنى الكتابة وتدوين الوصية ، وحتى في وقتنا الحاضر وفي كل الأوقات أن ما مكتوب من وصية او وثيقة أخرى أضمن من أن تكون قولاً وكلاماً قد قيل حتى وإن سمعه وشهد عليه جمع كبير فلا يعتد به مثل الكتاب المكتوب .

ولو كان النبي صلى الله عليه وآله يعلم أن المسلمين التزموا بوصايا نبيهم وتعليماته التي أوحى بها الله تعالى وأمره أن يبلغها لهم ما كان قد اهتم بكتابتها .

فماذا أراد صلى الله عليه وآله أن يكتب ؟ وما هو ذلك الكتاب الذي يعصمهم من الضلالة ؟ ولماذا منعه من كتابته ؟ وما دوافع تلك الشبهة التي أثارها عمر وتقبلها بعض الحاضرين في رزية الخميس تلك ؟

(١) صحيح مسلم ، آخر كتاب الوصية . الطبقات الكبرى : ٢ / ٢٤٤ ، ط بيروت . صحيح البخاري ، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد وفي كتاب المرضى من كتاب المغازي ، باب مرض النبي . البداية والنهاية : ٢٢٧/٥ . تاريخ الذهبى : ٣١١/١ . تاريخ أبي الفداء : ١٥١/١ .

(٢) النجم : ٥١ .

وفي سياق رد الشيخ المظفر على أحد المخالفين الذي تسائل عن السبب في طلب النبي صلى الله عليه وآله كتابة الكتاب قال :
ثم إنك تسأل عن الحاجة إلى الكتاب بعد نص الغدير وغيره ، فإن الحاجة إليه ما كان يستشعره النبي من عزم جماعة على تجاهل تلك النصوص كما وقع فعلا . وأما قولك : ومن نسي حديث الغدير وأنكره على قرب العهد به فهو لما في الكتاب المزمع كتابته أشد نسيانا ونكرانا ، فإنني لم أستطع فهمه ولم أعرف فيه وجه كون الكتاب أشد نسيانا ، فإن ما هو مكتوب أثبت مما ينقل على الأفواه وكيف يتطرق إليه النسيان أو النكران وهو حجة ثابتة مكتوبة ، على أنه لو وقع يكون أقرب عهدا إلى الناس من حديث الغدير لو كان بعد العهد هو السبب في النسيان أو النكران كما أردت أن تقول ^١ .

وفي السياق نفسه قال الدكتور صائب عبد الحميد : وإن كان الذي رآه عمر مصلحة عاجلة ، هو حقاً كما رآه ، فليسرياً ما كان مفتاحاً لمفسدة وأي مفسدة ، إنه الباب الذي كان مُهيئاً لكل ضغينة على هذه الرسالة وصاحبها أن يقتحموه إلى حيث يطمحون ، ألم يكن هو الباب إلى الرزية ، وهو الذي نقشته الأحداث على جبين التاريخ الإسلامي ، أحب ذلك أحد أم كره ^٢ .

وقال أيضاً في أحد مؤلفاته : بأي شيء يعتذر معتذر لعمر قوله هذا ، الذي راح بعضهم يستبدله بألفاظ قد تحتل الألسن قراءتها ، وإن لم ترتضيها القلوب المؤمنة ، فيقول : فقال عمر : غلبه الوجع أو كلمة بهذا المعنى ! فهل سيكفي هذا عذرا له ؟ أم بماذا يفسرون قوله : عندكم القرآن ، وحسبنا كتاب الله ؟ !

هل أراد بهذا إلغاء السنة النبوية كلياً ، والإعراض عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديثه ، اكتفاء بالقرآن ؟

لا أظن أن أحدا سيرضى لعمر مثل هذا ، فيتابعه عليه ، ولا أحسبه أراد هذا ، لعلمه بأنه كفر صريح لا يخفى على أحد .
فماذا بقي ؟

لم يبق سوى أنه أراد أن يصرف الأمر عما يتبادر إلى أذهان الصحابة فوراً ، وهم يسمعون قوله صلى الله عليه وآله : " هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً " فإنه يتبادر إلى أذهانهم لأول

(١) السقيفة : ٢٠٠ .

(٢) تاريخ السنة النبوية ، ص ٢٩ .

وهلة حديث رسول الله في حجة الوداع : " إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي " .

وهذا وحده هو المعنى المقبول ، والذي يؤيده موافقة الكثير منهم لعمر ، حيث لا تخفى كراهة بعضهم أن يكون هذا الأمر في أهل بيت النبي ، كما صرحوا بذلك غير مرة .

ولقد صرح عمر نفسه بهدفه هذا وأفشاه لعبد الله بن عباس ، إذ سأله يوماً وهما يتحدثان ، فقال : يا عبد الله ، عليك دماء البدن إن كتمتها : هل بقي في نفس علي شيء من من أمر الخلافة ؟ قال ابن عباس : قلت : نعم .

قال : أيزعم أن رسول الله نص عليه ؟

قلت : نعم ، وأزيدك : سألت أبي عما يدعيه ، فقال : صدق .

فقال عمر : لقد كان في رسول الله من أمره نرو من قول لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذرا ، ولقد كان يربح في أمره وقتا ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرح بإسمه ، فمنعت من ذلك إشفاقا ، وحيطة على الإسلام ، ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا ، فعلم رسول الله أنني علمت ما في نفسه ، فأمسك^١ .

وقد ذكر هذه القصة الدكتور نوري جعفر في كتابه (علي ومناوئوه) ثم علق عليها بقوله : وإذا صحت هذه الرواية فإن عمر يبدو كأنه أحرص على الإسلام من نبيه ، وهو أمر كان المفروض في عمر أن لا يهبط إليه^٢ .

ولو فرضنا عدم صحة عذر عمر في هذه القصة ، وأن عمر لم يهبط إليه ، فقد هبط إليه كل من أراد أن يجد له عذراً ، إذ لم يجدوا عذراً غيره ، فاتفقوا على أنه قالها إشفاقا وحرصاً على الإسلام ! ولفظ يناسب طبعه الغليظ ، وأما النص الذي اختاره الشهرستاني في الملل والنحل فهو قوله : هي اختلافات اجتهادية كما قيل ، كان غرضهم منها : إقامة مراسم الشرع ، وإدامة مناهج الدين ، ولست أراه عذرا أقبح من الفعل .

فهل إن إقامة مراسم الشرع ، وإدامة مناهج الدين ستتم بإعراضنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإتباع ما نجتهد من آرائنا ؟

أم أن قوله إنه يهجر ، وحسبنا كتاب الله أبقى على شيء من مراسم الشرع ومناهج الدين ؟ ، والأشد غرابة ، أن صاحب الملل والنحل قد ساق اعتذاره هذا - بأنها اختلافات اجتهادية - بعد خمس صفحات وبضعة أسطر فقط من كلام له جاء فيه : اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليفة : شبهة إبليس لعنه الله ، ومصدرها : استبداده بالرأي في مقابلة النص ؟^٣ .

(١) منهج في الانتماء المذهبي : ص ٢٦٧ ، عن شرح ابن أبي الحديد : ٢١/١٢ .

(٢) علي ومناوئوه : ٣٩ .

(٣) منهج في الانتماء المذهبي : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

وتأويلاتهم في تلك الحادثة ضعيفة ولا يقبلها العقل ، فبالرغم من مخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وآله وزعمهم بأنهم اجتهدوا ، وأرشدوا للأصلح لأنهم عقلاء والنبي صلى الله عليه وآله قد غلب عليه الهجر والوجع ، فقد كانت أذارهم أقبح من أفعالهم فلنرى ما في فتح الباري :

قال ابن حجر: قال القرطبي وغيره انتوني أمر ، وكان حق المأمور أن يبادر للامتثال لكن ظهر لعمر مع طائفة أنه ليس على الوجوب وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة مع استحضارهم قوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله تعالى : (تبياناً لكل شيء) ، ولهذا قال عمر : حسينا كتاب الله ، وظهر لطائفة أخرى أن الأولى أن يكتب لما فيه من امتثال أمره وما تتضمنه من زيادة الايضاح ، ودل أمره لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار ولهذا عاش صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف ^١ .

وما يكشف عن تناقض رواياتهم ذكر ابن حجر عن القرطبي قوله : قوله - أي عمر بن الخطاب - غلبه الوجع أي فيشق عليه املاء الكتاب أو مباشرة الكتابة ^٢ .

في حين أنهم رووا أن النبي صلى الله عليه وآله لا يحسن الكتابة وأن أمته أمية لا تكتب ولا تحسب كما قال عمر ^٣ .

وقد روى البخاري في خبر الحديبية : فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكتاب ، وليس يحسن يكتب ، وابن كثير أن النبي صلى الله عليه وآله كان دائماً وأبداً إلى يوم القيامة لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرراً ولا حرفاً بيده ^٤ .

ومن نفس الروايات التي انكرت الوصية تتكشف الأمور ، وأن النبي ما ترك أمته بلا راعٍ يراهم ويدبر أمرهم يكون كفؤ لهذه المنزلة ، فمما رواه ابن حجر أيضاً عن القرطبي قال : وقيل بل أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع بينهم الاختلاف ^٥ .

وغير مستغرب انكار عمر على نبيهم صلى الله عليه وآله ومعارضته له : فما رواه عبد الله بن عباس وجابر وسهل بن حنيف وأبو وائل والقاضي عبد الجبار وأبو علي الجبائي وأبو مسلم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٢٩٢/٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر صحيح البخاري : ٢٧/٣ .

(٤) صحيح البخاري : ٨٥/٥ ؛ تفسير ابن كثير : ٢٨٥/٦ .

(٥) فتح الباري : ١٨٦/١ .

الفصل الثاني البعد الرسالي العظيم للوصية والسعي لتغيبها

الأصفهاني ويوسف القزويني والشعبي والطبري والواقدي والزهري والبخاري ، وقد ذكر الحميدي في الجمع بين الصحيحين بعض الحديث في ذلك من مسند المسور بن مخرمة في حديث الصلح بين سهيل بن عمرو وبين نبيهم بالحديبية يقول فيه : قال عمر بن الخطاب : فأتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت : ألسنت برسول الله حقاً ؟

قال : بلى .

قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟

قال : بلى .

قلت : فلم نعطي هذه الدنيا في ديننا إذا ؟

قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري .

قلت : أوليس كنت تحدثنا إنّ سنأتي البيت فنطوف به ؟

قال : بلى ، فأخبرتكم إنك تأتيه العام ؟

قلت : لا .

قال : فإنك آتية وتطوف به .

قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً ؟

قال : بلى .

قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟

قال : بلى .

قلت : فلم نعطي هذه الدنيا في ديننا إذا ؟

قال : أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بعروته فوالله إنه على

الحق .

قلت : أوليس كان يحدثنا إنه سنأتي البيت ونطوف به ؟

قال : فأخبرك انه يأتيه العام ؟

قلت : لا .

قال : فإنك آتية وتطوف به (١).

فأبي ضرورة كانت لهؤلاء المسلمين إلى إيراد مثل هذا الحديث وتصحيحه وشهادتهم على عمر أنه ما كان يوافق نبيهم ويعارضه في أموره ، ويخالفه في تدبيره ويرى أنه أعرف منه ومن الله بالصواب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يوصف : (وما ينطق عن الهوى * إن إلا وحي يوحى) وهذا مما يتعجب منه ذوو الألباب (٢) .

٢. منع الحديث النبوي

منع حديث رسول الله "صلى الله عليه وآله" وسنته بعد وفاته بحجة الاختلاف فيها أولاً ، أو خوفاً من اختلاف الناس فيها ، ثم حرق الحديث ومنعت الكتابة مطلقاً لحديث رسول الله "صلى الله عليه وآله" بحجة الخوف من اختلاطها بالقرآن.

قال الذهبي : ومن مراسيل ابن أبي مليكة ان الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه ٣ .

قال الذهبي فهذا المرسل يدل ان مراد الصديق التثبت في الاخبار والتحري لا سد باب الرواية ، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج ٤ .

(١) صحيح مسلم ، ج ٣ ، ١٤١١ ، كتاب الجهاد ؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، ص ٧٥٥ .

(٢) الطرائف ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) تذكرة الحفاظ : ٣/١ .

(٤) المصدر السابق .

وما كان ذلك إلا لإبعاد الوصية عن أذهان المسلمين بشتى الوسائل ، وما السنة إلا تبياناً للقرآن وتفصيلاً لأحكامه ، والكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب .

وروى الذهبي قال : وقد نقل الحاكم فقال حدثني بكر بن محمد الصيرفي بمرور حدثنا محمد ابن موسى البربري حدثنا المفضل بن غسان حدثنا علي بن صالح انا موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن عن إبراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدثني القاسم بن محمد قالت عائشة : جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيرا قالت فغممني ، فقلت أنتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ فلما أصبح قال أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجننته بها فدعا بنار فحرقها ، فقلت لم أحرقتها ؟ قال خشيت ان أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك ^١ .

وقد كان عمر من وجله ان يخطئ الصاحب على رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرهم ان يقولوا الرواية عن نبيهم ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن ^٢ .

وقد روى شعبة وغيره عن بيان الشعبي عن قرظة بن كعب قال لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا نعم تكرمة لنا ، قال ومع ذلك انكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم فلما قدم قرظة بن كعب قالوا حدثنا فقال نهانا عمر رضي الله عنه ^٣ .

قال الدكتور صائب عبد الحميد : لكن عثمان لم يتبع شدة عمر في هذا الأمر فأطلق الصحابة الذين حبسهم عمر في المدينة ، وقد ذكر فيهم مع ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي مسعود الانصاري ثلاثة آخرون هم صادق اللهجة أبو ذر وعبد الله بن حذيفة وعقبة بن عامر ، فكل هؤلاء

(١) المصدر نفسه : ٥/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٧/١ .

(٣) المصدر نفسه .

لم يلتزموا أمر عمر في ترك الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله^١ .

وما نعرفه عن عثمان أنه بث عيونه ومخبريه للتأكد من التزام الناس بهذا المنع وحتى يوقع بالمخالفين أشد العقوبات ، وكان أبو ذر الغفاري رضوان الله عليه نصيب في الأذى ، فهل يختلج عند مؤمن شك في حديث أبي ذر ليضرب وينفى ويعذب في غربته ويموت غريباً وحيداً لأنه بث وصية رسول الله صلى الله عليه وآله التي دأب المنافقون على منع الحديث بها ومنع بث أي حديث لرسول الله لأجل تغيبها عن مسامع المسلمين .

ومما رواه ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي أخبرنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن محمود بن لبيد قال : سمعت عثمان بن عفان على منبر يقول لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر فإنه لم يمنعني أن أحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (ألا أكون من أوعى أصحابه عنه ألا أني سمعته (صلى الله عليه وآله) يقول من قال عليّ ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار^٢ .

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عن شيخه أبي جعفر الاسكافي أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي "عليه السلام" تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير^٣ .

وروى ابن أبي الحديد أيضاً قائلاً : روى الأعمش قال: لما قدم أبو هريرة إلى العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مرارا وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله، واحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : إن لكل نبي حرماً وإن حرمني بالمدينة ، ما بين عسير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس

(١) تاريخ السنة النبوية ، ص ١٤ نقلاً عن تذكرة الحفاظ : ٧/١ .

(٢) الطبقات الكبرى : ٣٣٧/٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٦٣/٤ .

أجمعين وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة^١.

وروى كذلك عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن قاسم عن عمر بن عبد الغفار أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه، فقال: يا أبا هريرة أنشدك الله أسمعته رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي بن أبي طالب: " اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : فاشهد بالله ، لقد واليت عدوه وعاديت وليه^٢.

وبلغ بهم العدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار النيل منه في حياته تمهيدا لمخططاتهم العدائية المبيّنة للإسلام وأهل البيت الأطهار ، فمنه مارواه ابن كثير الدمشقي في تفسيره عن عبد الله بن عمرو قال : كنت اكتب كل شيء أسمعته عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : أتكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فأوماً بإصبعه إلى فيه فقال : أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق^٣.

وقال ابن كثير: ورواه أبو داود . أي في سننه . عن مسدد وابن أبي شيبة . أي في المصنف . وكلاهما عن يحيى بن سعيد القطان^٤.

واستمر هذا التحريف ووضع الحديث في العصر العباسي بتسخير خلفاء بني العباس لبعض المخالفين لسنة النبي صلى الله عليه وآله ومن تلك الأخبار روى الدينوري في الإمامة والسياسة قصة لقاء مالك وأبو جعفر الدوانيقي العباسي، وهذا اللقاء تم فيه أمر الخليفة بكتابة مالك لكتاب ومذهب جديد يجمع الناس عليه بالقوة والسلطة لاسيما انه قد أُلّف بمصدر ملكي صادر من الخليفة القوي، ويروي أن مالكاً حظى بالآلاف الدنانير الذهب والكسوة وغيرها من المغريات المادية من أبي جعفر الدوانيقي والمهدي وهارون في سبيل تدوين وتأليف " الموطأ " ° ، ذلك الكتاب الذي خالف فيه وحرف أشهر الأحاديث المذكورة في صحاح المسلمين والذي ينص على وصية

(١) المصدر السابق : ٦٧/٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٨/٤ .

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٤، تفسير سورة النجم.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) انظر الإمامة والسياسة : ٢ / ١٥١ - ١٥٣ .

رسول الله فيمن يخلفونه وهم أعدال القرآن الأوصياء من عترة النبي صلى الله عليه وآله^١.

وعلى الرغم مما تعرضت له النصوص من محاولات التحريف والمنع والضياع إلا أن أوصياء النبي صلى الله عليه وآله والصحابة والتابعين الذين ما امتنعوا من بث الحديث ، وكانوا يذكرون بأحاديث الوصية وغيرها ، تلك الأحاديث التي طالها المنع والتحريم وغابت عن المسلمين كثيراً ، ومما قال النبي صلى الله عليه وآله في هؤلاء الأبرار : " اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي يروون احاديثي وسنتي ويعلمونها الناس " ^٢ .

وكم قام أمير المؤمنين عليه السلام في الناس يذكرهم بأحاديث غابت عنهم زمناً طويلاً كما نشدته في الرحبة بحديث الغدير وأحاديث في ذكر أهل البيت وفضلهم وإصابة دعوته عليه السلام أناساً كتموا شهادتهم بحديث الغدير في يومي مناشدة الرحبة والركبان ، فأصابهم العمى والبرص ، أو آفة أخرى ، وكانوا من المملأ الحضور في مشهد يوم الغدير .

وفي خبر السرية التي بعثها النبي صلى الله عليه وآله لليمن روى ابن حبان عن عمران بن حصين : فلما قدمت سلموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا . أي في شأن الجارية . فأعرض عنه ، ثم قام الثاني فقال : يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا ، فأعرض عنه ، فقام آخر فقال : يا رسول الله ألم تر أن علياً فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ، ثم قام الرابع فقال : يا رسول الله ألم تر أن علياً فعل كذا وكذا ، فأقبل إليه رسول الله والغضب يعرف في وجهه فقال : " ما تريد من علي ثلاثاً ، إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي " ^٣ .

(١) حديث الثقلين بلفظ " كتاب الله وسنتي " من ناحية السند رواه صالح بن موسى بن عبد بن اسحاق بن طلحة بن عبيد الله القرشي كوفي ضعيف ضعفه الذهبي والبخاري وابن عدي (ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ٤١٤/٣) ، وهذا الحديث يسقط عن الاعتبار عندما نضعه أمام حديث الثقلين المتواتر " كتاب الله وعترتي " ، لأن خبر الواحد لا يعارض المتواتر والضعيف لا يعارض الصحيح . وبعض المتعصبين يحاولون القدح في سند حديث الثقلين ودلالته ، أو تحريف لفظه ومتمته ، وعلى فرض أن للخبر أصل فإنه ليس هناك أي منافاة بين الوصية بالكتاب والسنة والوصية بالكتاب والعترة غير أن حديث كتاب الله وعترتي مفاده وجوب أخذ السنة من العترة النبوية لا من غيرهم . وأورد السيد الميلاني في ترجمته لمالك بأنه مقدوح مجروح . انظر حديث الوصية بالثقلين الكتاب والسنة ، ص ١٧ .

(٢) كنز العمال ، ج ١٠ ، ح ٢٩٤٨٨ .

(٣) صحيح ابن حبان : ٣٧٠/١٥ .

وفي صحيح ابن حبان عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كنت وليه فعلي وليه^١ .

ومناشدة علي عليه السلام عن أبي الطفيل قال : علي أنشد كل امرئ سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدیر خم لما قام فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوه يقول : " أستم تعلمون أني أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فإن هذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " ، فخرجت وفي نفسي من ذلك شيء فلقين زيد بن أرقم فذكرت ذلك له فقال : قد سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك له^٢ .

ومن البديهي أن ينكروا الوصية في علي عليه السلام ، وهو عليه السلام كان ممن توكأ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه مع ابن عباس ولم يهتموا بذكر إسمه ، فقد جاء في مسند أحمد : عن عائشة : لما مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيت ميمونة فاستأذن نساءه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج رسول الله معتمداً على العباس وعلى رجل آخر ورجلاه تخطان في الأرض ، وقال عبيد الله : فقال ابن عباس : أتدري من ذلك الرجل هو علي بن أبي طالب ولكن عائشة لا تطيب لها نفساً^٣ .

وتناسوا كل العهود التي عهدا رسول الله صلى الله عليه وآله لوصيه عليه السلام وأوردوا أحاديثاً مبهمة وفيها إيهام أنه صلى الله عليه وآله ما أوصى في استخلاف علي صلوات الله عليه وأنهم ينسون كثيراً من وصاياه في الخلافة من بعده ، وكان الهجر وذهاب العقل أولى بهم لا بالذي لا ينطق عن الهوى ، فتنازعهم وافترائهم وانتقاصهم من نبي البشرية ، إنما جاء لأنه صلى الله عليه وآله أوصى بالثقلين فاعترضوا وتنازعوا ، وأمرهم صلى الله عليه وآله بالخروج فلا ينبغي عنده تنازع .

وفي صحيح البخاري قال : حدثنا ابن عيينة عن سليمان بن أبي مسلم الأحول سمع سعيد بن جبیر سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه الحصى قلت يا ابن عباس ما يوم الخميس قال اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه فقال

(١) المصدر السابق : ٣٧٤ / ١٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٧٤ / ١٥ .

(٣) صحيح ابن حبان : ٣٤ / ٦ . الجمع بين الصحيحين : ١٠٢ / ٤ مسند عائشة ، ولم نجد عبارة : ولكن عائشة لا تطيب لها نفساً .

انتوني بكتف اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : ماله أهجر استفهموه ، فقال : " ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه " ، فأمرهم بثلاث : قال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم والثالثة أما أن سكت عنها وأما ان قالها فنسيته^١ .

لو اطلعنا على أحاديثهم ودققنا فيها سنتكشف لنا حقائق واضحة وبراهين في أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن مثلما قالوا فيه وافتروا عليه من أمر الوصية وغيرها مما أنكروه ، فمثلاً في احتضار أبي بكر كان يود أنه لم يكشف عن بيت فاطمة عليها السلام ويفتشه ، وهذا يتناقض مع ما أنكروه في قضية الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام ، فضلاً عن ذلك رووا في هذا الحديث أن أبا بكر نكر في هذه الحادثة كلاماً كثيراً لم يذكره أو نسوه لأننا عهدنا منهم النسيان كثيراً في مثل هذه الأمور .

ومن نفس الحديث نرى الاختلاف عندهم والاختلاق في أمر الوصية ، فما الداعي لتمني أبي بكر سؤال النبي صلى الله عليه وآله في أمر الوصي من بعده إذا كانوا متيقنين من تركه الوصية ، وأن أبا بكر كان يستنكر التنازع في الأمر ويود أنه لو قذف الأمر في غيره وهذا يدل على فساد الاختيار .

وإليك الحديث من صحيح البخاري :

وكان أبو بكر قد سمته اليهود في شيء من الطعام ، وأكل معه الحارث بن كلدة فعمي ، وكان السم لسنة ، ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوماً ، ومن كلام له أنه لما اختُصِرَ قال : ما آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتها ووددت أني تركتها ، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها ، وثلاث ووددت أني سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنها ، فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها ، فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة ، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً ، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجياً أو قتلته صريحاً ، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفتُ الأمر في عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكننت وزيراً ، والثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها ووددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه ، فإنه قد خيل لي أنه لا يرى شرّاً إلا أعانه ، ووددت أني كنت قد قذفت المشرك بعمر بن الخطاب ، فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله ، ووددت أني يوم جهّزت جيش الردة ورجعت أقمت مكاني فإن سلم المسلمون سلموا ، وإن

كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مَدَدًا ، وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش إلى مرحلة من المدينة ، وهو الموضوع المعروف بذي القصة ، والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، وددت أني كنت سألته في من هذا الأمر ، فلا يناع الأمر أهله ، ووددت أني سألته عن ميراث العمة و بنت الأخ فإن بنفسي منهما حاجة ، ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب فنعطهم إياه^١ .

الفصل الثالث

نظام الشورى ومخالفة النص

المبحث الأول

١. الانقلاب على النص

ذكرت الصحاح والكتب عند المذاهب الأربعة أن النبي توفي وترك الأمة تختلف فيما بينها ومتى ما أجمعت الأمة على رجل وبايعوه فهو خليفة رسول الله .

وإذا فرضنا صحة وجود الاجماع والشورى أو الاختيار فالأجدر وجود رجالات الأمة الأفاضل فيها ، فكان ابعادهم وتغييبهم مقصود لأن زعماء الاجماع لم يرغبوا في مثل هؤلاء كعلي عليه السلام صاحب الحق الشرعي ونفس رسول الله بنص آية المباشرة وكماالاته الفاتحة التي عرفناها من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية كالمنزلة والغدير والمؤاخاة ومدينة العلم وحديث الراية وعلي مع الحق وحديث الإثني عشر وغيرها من الشواهد التي تدفع الصحابة كافة لترشيح علي عليه السلام للخلافة حتى إذا افترضنا أن ليس فيه عهد ونص من الله تعالى .

ولو كان للنبي صلى الله عليه وآله من مستقبل الدعوة بعده موقفاً ايجابياً يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة واسناد زعامة الدعوة إلى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام لكان قد أيده بالأشياء التي يتطلبها هذا الموقف الإيجابي ، كأن يقدم الرسول القائد بعملية التوعية للأمة والدعوة على نظام الشورى ، ولكان من الطبيعي أن تتعكس وتتجسد في الأحاديث الماثورة عن النبي صلى الله عليه وآله مع أننا لا نجد في أحاديثه صلى الله عليه وآله عن أي صورة تشريعية محددة لنظام الشورى ^١ .

والبعض منهم موافق للإمامية في أن اختيار الإمام من الله تعالى فمن ذلك ما ذكره الغزالي في كتاب منهاج العابدين عند ذكر التفويض قال : وأما التفويض فتأمل فيه أصلين أحدهما أن الاختيار لا يصلح إلا لمن كان عالماً بالأمر بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها وحالها وعاقبتها ، وإلا فلا يأمن أن يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح ^٢ .

فيما تجد أكثر المحققين من أعلام القوم لما لم يجدوا طريقاً لردّ هذه الأحاديث الكثيرة - كالأحاديث التي نصت على الوصي والخليفة وحديث الإثني عشر والثقلين والغدير وغيرها -

(١) باقر الصدر ، محمد ، نشأة التشيع والشيعة ، ص ٣٢ .

(٢) منهاج العابدين : ص ٥٩ .

اضطربوا في بيان المراد منها ، فأكثرهم أظهر العجز في فهم معناها أو أنكر مقصودها الحقيقي ، وروجوا تأويلاتهم للأحاديث بحسب أهوائهم ومزاجاتهم ومصالحهم ، ومن يتتبع تصانيفهم المشهورة عندهم سيجدها زاخرة برد هذه الأحاديث الصحيحة ورفضها وتحاملهم على الإمامية الذين قالوا بصحة هذه الأخبار والروايات وأثبتوها ومنها الأحاديث المشهورة بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام .

فأي عذر لهؤلاء المتأخرين في إنكار الحق وإظهار الباطل ، وأي عذر لأسيادهم الأوائل في عزل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلافة وعن المشاورة والمراسلة في ذلك اليوم ، وقد استصلحه الله باتفاق المسلمين ورسوله لخلافة رسوله وللأمور الكبار العظام وشارك رسول الله صلى الله عليه وآله في أكثر الأحوال ومن قد أجمع المسلمون على تعظيمه وتفضيله .

روى علي بن طاووس قال : وقد ذكر المبرد في كتابه الكامل عن عبد الرحمن بن عوف قال : دخلت على أبي بكر في علته التي مات فيها ، فقلت : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد عليّ من وجعي ، إني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه ، قال المبرد : معنى ورم أنفه أي امتلئ من ذلك غيضا^١ .

فكيف صار رؤية في تعيين من يقوم مقام نبيهم أفضل من رأى نبيهم ؟ وكيف صار كراهتهم لا تؤثر في رأيه وحده ؟ لأنهم يعتقدون أن رأيهم وتدبيرهم أكمل من رأى نبيهم وتدبيره ، فقالوا إن نبيهم رأى المصلحة في ترك النص على خليفة المسلمين ، وأبو بكر وأتباعه رأوا أن المصلحة في النص على عمر وتعيين خلافته على المسلمين ، ثم إن خليفة نبيهم حيث استصوب مخالفة نبيهم في ترك النص أقدم أيضا واستصوب مخالفة أتباعه في أن الإمامة باختيار الأمة ، وانفرد هو وحده باختيار عمر للخلافة ، ولم يلتفت إلى حصول اتفاق الأمة ، ثم تجاوز ذلك إلى أنه لم يلتفت أيضا إلى كراهة المسلمين بخلافة عمر على ما رواه المسلمون^٢ .

(١) منهاج العابدين : ٤٠٢/٢ .

(٢) الطرائف : ٤٠٢/٢ .

وفي عدم صلاحية الأمة لاختيار الخليفة ما رواه الثعلبي وغيره في تفسير قوله تعالى : (لَهُ مُعَقَّبَاتٍ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ)^١ فقال : إن عامر بن الطفيل جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : مالي إن أسلمت ؟

قال : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ، فقال : تجعل لي الأمر من بعدك ؟

فقال : ليس ذلك إليّ إنما ذلك إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء^٢ .

قال السيد علي بن طاووس : فما أرى نبيهم قال لعامر بن الطفيل إن ذلك إلى اختيار الأمة ، فإذا كان الأمر في تعيين من يكون قائماً مقام نبيهم إلى الله وحده يجعله حيث يشاء وأن ذلك ليس إلى غير الله ، فكيف انفردوا باختيارهم من يقوم مقامه ؟

وجعلوا لأنفسهم ما لم يجعله الله لهم ولا لنبيهم ؟

إن ذلك من عجائب المناقضات^(٣) .

٢. انحراف وعدم كفاءة خلفاء الشورى

إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يحرص على أمر كما حرص على إتمام الدين والرسالة وأوامر الوحي ، وأن يواجه تلك التحديات ، وأولئك المتربصين بسلامة النص القرآني والنبوي ، فمنهم من تلقى أوامر النبي بالإنكار والإعراض والاستكبار ، فمنها عدم تأدب أحدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وتسليمه لأمره واعتراضه وكأنه شريكاً في الرسالة^٤ ، وكذلك في الصلح بين سهيل بن عمرو وبين النبي صلى الله عليه وآله في الحديبية قد شهدوا أن أحدهم يعارض النبي صلى الله عليه وآله ويخالف أمر من لا ينطق عن الهوى ، والنبي صلى الله عليه وآله يقول له : " لست أعصيه وهو ناصري " ، وأبو بكر يرده قائلاً : إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بعروته فوالله إنه على الحق^٥ .

(١) الرعد : ١١ .

(٢) الكشف والبيان : ٢٧٦/٥ .

(٣) الطرائف ، ج ٢ ، ص ٩٢ . وفي المخطوط ص ١٦٧ .

(٤) صحيح مسلم : ٥٩/١ كتاب الايمان ح ٤٦ .

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٧٥٥/٨ كتاب التفسير ح ٣١٨٢ .

جئى بالحكم بن كيسان إلى النبي صلى الله عليه وآله فجعل النبي يدعوه إلى الإسلام فأطال ، فقال عمر : علام تكلم هذا يا رسول الله ، والله لا يسلم هذا آخر الأبد ، دعني أضرب عنقه ويقدم على أمه الهاوية ! فكان النبي صلى الله عليه وآله لا يقبل على عمر حتى أسلم الحكم بن كيسان ، قال عمر : فأسلم والله وحسن إسلامه وجاهد في الله حتى قتل شهيداً ببئر معونة ورسول الله راض عنه ودخل الجنان ^١ .

فهذه نماذج من مخالفات كثيرة حدثت منهم لصاحب الخلق العظيم فلا استغراب فيما أنكروه من أمر الوصية .

قد ذكر السيد علي بن طاووس في طرائفه مخالفاتهم ومفارقاتهم والتناقضات عندهم وطرائف ما شهدوا به على أنفسهم أنهم خالفوا النبي صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته وهو المؤيد بالألطف والوحي والاتصال بال العناية الإلهية .

لا يستبعد أن يتركوا النص ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأن اغراضهم كانت دنيوية ويرجون ويطمعون ممن خالف النص بما لا يرجونه من الخليفة الشرعي من التماس الولايات والأموال والأغراض الفاسدة ، فكان قد اختبرهم الله ورسوله في نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة)^٢ ، هذه الآية التي لم يعمل بها غير علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى (لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ)^٣ ، روي عن ابن جريح أنه قال : وقفوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلاً ليفتكوا به ^٤ .

ولا يستبعد منهم القول بأنه صلى الله عليه وآله ما أوصى لأحد أو عين من يقوم مقامه ومخالفته بعد وفاته في أمر الخلافة ؛ لأن أكثر أصحابه خالفوه في حياته وفارقوه في غزواته وخذلوه ، فمنها حنين وأحد وخيبر وغيرها ، وكانوا إذا سمعوا بوصول تجارة تركوا الصلاة فكيف يستبعد منهم أن يخالفوه في طلب الملك والخلافة .

(١) صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، ح ٥٣٤٥ . مسند أحمد : ٢٢٢/١ .

(٢) المجادلة : ١٢ .

(٣) التوبة : ٤٨ .

(٤) الكشف : ١٩٤/٢ ، مورد الآية .

ومن التناقض ذكروا تخلفهم عن حملة أسامة ويجوز مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويرون الإلتزام بقتل أصحاب الشورى الذين ذكروا أنه صلى الله عليه وآله شهد لهم بالجنة إن مضت ثلاثة أيام ولم يبايعوا واحداً منهم ، وأنه لا بد من العمل بهذا الرأي بعد خليفتهم واستباحة دماء أفضل الصحابة عندهم .

قال الشهرستاني: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه^١ .

وأتسائل كيف يُستصلح هؤلاء للخلافة وهم لم يصلحوا لتدبير حرب أو تبليغ سورة ، ولا يتوهم قارئ أن عدم استصلاحه لتأدية سورة براءة وارجاعه من قبيل الصدفة ، قال ابن طاووس : قد كان يمكن قبل تسليم الآيات إليه - أي لأبي بكر - أن يوحى إلى نبيهم فيقال له : أنفذها مع علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولسان الحال يشهد أن في ترك الله لأبي بكر حتى يتوجه وإعادته من الطريق ، واطهار أنه لا يصلح دليلاً على أن الله أراد كشف حال أبي بكر ونقصه عن المراتب اليسيرة لئلا يستصلحه أحد للولاية الكبيرة وليحتج الله عليهم بذلك يوم الحساب ، فكيف خفي هذا عند ذوي الألباب^٢ .

وفي نزول سورة براءة وتبليغها أيضاً وقد أخذت منه ومُنِع من تبليغها بأمر من الله ورسوله قال السيد أحمد بن طاووس : أخذت منه لأنه ليس محلاً قابلاً للاختصاص به والإخلاق إليه والتعويل في اسرار الله تعالى وتدبير ملته عليه ، إذ كان من هبط عن بعض الرتبة أولى بالهبوط عن جملتها ، وأن لا ينزل من الدرجة العالية في ذروتها ومنبه على أن الاختصاص بأكمل المراتب واسمى المناصب ، وذلك عن تدبير مدبر الوجود وهو أبلغ في المقصود ، وإنما قلت ذلك لان الله تعالى قال عن رسول الله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) ، وإن الأمر بإعطائه الآيات عارف بما يؤول إليه الحال من أخذها ممن أخذت منه جهاراً على أظهر الحالات وذلك عين القصد لإبانة نقصه ، وكمال من أخذها ليقراها بنية اخلاصه ويقينه وبراعة تبيينه وشجاعة قلبه وحماسة دينه ، ومن ذلك غزوة حنين وقول الأول لن نغلب اليوم من قلة فهزم أصحاب رسول

(١) الملل والنحل، ج١، ص٢٠.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : ٩٤/٢ .

الله صلى عليه وآله وكانوا إثني عشر ألفاً عدا أمير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب في آخرين قليلين^١ .

وأورد السيوطي حواراً بين القاضي محمد بن الحسين ورجل آخر كان القاضي يذكر أشياء عن أبي بكر ويجيبه ذلك الشخص بفضائل اختلقوها لأبي بكر ، فمما قاله القاضي رداً عن فضائل جاءوا بها مختلقة : أبو بكر انتقل عن شرك ، وما عرف عنه جهاد وشجاعة فقد جنبه أصحابه في خيبر والخندق ، وقال إن لي شيطاناً يعتريني ، ووليتكم ولست بخيركم ، وأقبلوني أقبيلوني ، وعمر يقول من على المنبر فسمعه الأسود والأحمر ألا إن بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه ، وحزن جزعاً على نفسه في الغار ، ولم يكن حزنه خوفاً منه أن يصيب رسول الله شيئاً أو على دين الله تعالى ، ولو افترضنا إن كان حزنه على رسول الله ودين الله ولم يكن جزعاً على نفسه ولا على ماله وولده وعرسه لأنزل الله السكينة عليه أيضاً كما أنزلها على رسوله^٢ .

وإن كان قد زعموا أن الله تعالى أخبر عن نزول السكينة في الآية على أبي بكر لا على رسول الله لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم تقارقه السكينة قط حسب تفسيرهم ، فما معنى قوله تعالى في حنين : (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) عندما لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا سبعة نفر من بني هاشم منهم علي عليه السلام الذي هو من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي صلى الله عليه وآله .

وهل يبقى لهم عذر في مبادرتهم إلى طلب الخلافة قبل تجهيز نبيهم ، ثم قول الأول منهم : أقبيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم^٣ .

وذكر الشريف المرتضى عذره عليه السلام وعدم حضوره ليحاج القوم في حقه في ذلك الوقت الحرج : وعذر أمير المؤمنين عليه السلام إذا قيل : فما باله لم يحضر ويحاج القوم وينازعهم

(١) عين العبرة في غين العترة : ٨ .

(٢) المحاضرات والمحاورات : ٤٤٠ - ٤٥٠ .

(٣) أخرج سبط ابن الجوزي عن أبي حامد الغزالي قول أبي بكر على منبر رسول الله "صلى الله عليه وآله" : أقبيلوني فلست بخيركم. قال أفعال . أي أبو بكر . ذلك هزلاً أو جداً أو امتحاناً؟ فإن كان هزلاً فالخلفاء منزهون عن الهزل، وإن كان جداً فهذا نقض للخلافة، وإن كان امتحاناً فالصحابا لا يليق بهم الامتحان لقوله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ) الاعراف: ٤٣ . انظر تذكرة الخواص، ص ٦٢.

؟ ، فهو ظاهر لائح لأنه عليه السلام رأى من إقدام القوم على الأمر وإطراحهم للعهد فيه وعزمهم على الإستبداد به مع البدار منهم إليه ، والإنتهاز له ما آيسه من الإنتفاع بالحجة ، وقوي في نفسه صلوات الله عليه ما تعقبه المحاجة لهم من الضرر في الدين والدنيا ، هذا إلى ما كان متشاغلاً به من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه عليه السلام لم يفرغ من بعض ما وجب عليه من تجهيزه ونقله إلى حفرتة ^١ .

وكذلك يرون أن تدبيرهم أكمل من تدبير نبيهم لأنهم إدعوا أن النبي صلى الله عليه وآله ترك الوصية والنص على خليفة المسلمين ، والخليفة الأول أوصى بعمر ولم يلتفت إلى الشورى واتفاق الأمة .

قال السيد علي بن طاووس مخاطباً ولده محمد : واعلم يا ولدي محمد كرمك الله جل جلاله بكمال آلائه وجعلك من خلائه ، إن الذي اقتضى تدبير جدك محمد صلى الله عليه وآله من عزل الذين تقدموا على أبيك أمير المؤمنين عليه السلام عن مقام الجهاد ومبارزة الاقران أيام حياته يقتضي أن من سعادة الإسلام والمسلمين مقامهم في المدينة بعد وفاته ولم يباشروا فتوح بلاد الكافرين وإنما كانوا إسماءً وصورة يخوف بها من بعد عنها من المشركين وكان تخلفهما عن الحروب مع المسلمين آية لجدك محمد صلوات الله عليه وآله ليتم ما وعد به من الفتح الذي دل عليه ولو حضروا شيئاً من فتوح البلاد ما كان يؤمن أن يقع منهما ما وقع في خيبر وغيره من الهرب وترك الجهاد وهلاك العباد ^٢ .

قال تعالى في سورة المنافقين: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) ^(٣) وقوله تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) ^(٤) .

(١) الشافي في الإمامة : ١١٣/٢ .

(٢) كشف المحجة : ٦١ .

(٣) المنافقون : ٤٠٣ .

(٤) الأحزاب : ١٢ .

وأشار الله تعالى في بعض الآيات إلى سيرة المنافقين مع النبي صلى الله عليه وآله واصرارهم على الكيد به ، لكن الله تعالى أبطل عملهم وصفاتهم بصورة عامة وفي جميع المواقع والمواضع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته "عليهم السلام".

وقد سميت سورة التوبة الفاضحة لكثرة ما حوت من ذكر مثالب وأحوال الكثير من الصحابة المنافقين كقوله تعالى: (لا يَسْتَنْدِئُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَنْدِئُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ)^(١).

وروى الزمخشري: لما قفل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من غزوة تبوك أمر منادياً ينادي لا يأخذن العقبة أحد فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يسيرو وحده ، فكان النبي يسيرو وحذيفة يقود وعمار يسوق براجلته ، فاقبل رهط متلثمين على الرواحل حتى غشوا النبي (صلى الله عليه وآله) ، فرجع عمار فضرب وجوه الرواحل فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لحذيفة : " قد قد " ، فلحقه عمار فقال: " سق سق " ، حتى أناخ ، فقال لعمار: " هل تعرف القوم؟ " فقال : لا، كانوا متلثمين وقد عرفت عامة الرواحل، فقال: " أتدري ما أرادوا برسول الله ؟ " قلت: الله ورسوله اعلم، فقال: " أرادوا أن يمكروا برسول الله فطرحوه من العقبة " ، فلما كان بعد ذلك وقع بين عمار وبين رجل منهم^٢ شيء مما يكون بين الناس فقال : أتشدكم الله كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن

(١) التوبة: ٤٨.٤٤ .

(٢) بعد أن اتسعت سياسة البيت الاموي في البغي والضلال مما دعا الصحابة أن يكتبوا رسالة الموعظة لعثمان ذكروا له فيها بعض اعمال عماله من الامويين الغارقين في الخمر والفساد ، وحملها عمار بن ياسر الى عثمان وسلمها له ، وكما روى ابن أبي الحديد في نهج البلاغة، ج٢، ص٣٦: فلما قرأها عثمان أمر غلمانه بضرب عمار بن ياسر ضرباً مبرحاً قاسياً، حتى ادى ضربهم لعمار أن أصيب بالفتق. فأغمي عليه وحمل الى بيت ام سلمة (ام المؤمنين) وظل الى منتصف الليل حتى فانت عليه صلاة الظهرين والعشائين . وانظر انساب الاشراف للبلاذري ونهج البلاغة وغيرها لتري افعال عثمان وعدم احترامه للصحابة الاجلاء وضربهم وايداءهم بل وحتى عدم احترامه لأمر المؤمنين "ع" وتكذيبه لحديث رسول الله "صلى الله عليه وآله" في أبي ذر والذي ذكره له علي "ع" وهو قوله: " ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من ابي ذر " ، فقال جميع من حضر من أصحاب النبي "صلى الله عليه وآله" : لقد صدق أبو ذر بعد أن وقفوا مع عثمان ضد أبي ذر عندما أشهدهم عثمان في

يمكروا برسول الله ، فقال: ترى إنهم أربعة عشر فإذا كنت منهم خمسة عشر^١ .

وفي معركة أحد حينما انهزموا كعادتهم في القتال صمد الإمام علي عليه السلام وثبت في الميدان واستمر بالجهاد ومقارعة الأوغاد وهم أكثر من خمسة آلاف مقاتل راكب وراجل وعلي عليه السلام يهاجم ويناضل ويضرب بالسيف خراطيمهم ويحصد هامهم حتى ذب عن الإسلام ودفع الطغام عن سيد الأنام صلى الله عليه وآله فسمع النداء في جو السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، ورووا أنه سمع يوم أحد صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي مراراً لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فستل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فقال : " هذا جبرائيل " ^٢ .

وعن عبد الرحمن بن عوف قال : دخلت على أبي بكر في علته التي مات فيها ، فقلت : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي ، إني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه^٣ .

وذكرنا قول عائشة لابن عمر: يا بني ابلغ عمر سلامي وقل له لا تدع أمة محمد (صلى الله عليه وآله) بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك أهملًا فإنني أخشى عليهم الفتنة^٤ .

صحة حديث رسول الله "صلى الله عليه وآله" : «إذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولا وعباد الله حولا ودين الله دخلا» وانكروه، وقال له عثمان كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها، وقال أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب إما أن اضربه أو احبسه أو اقتله فإنه قد فرق جماعة المسلمين أو أنفيه من أرض المسلمين، فقال علي "ع": اشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) فأجابه عثمان: ملأ التراب فاك (انظر رواية الواقدي وابن ابي الحديد). وانظر خطبة الزهراء "ع" بعد السقيفة ومنعها ارثها تجد فيها أوصاف عثمان واقرانه فلا غرابة من قوله هذا لسيد الوصيين "ع" وقد قالت الزهراء "ع" فيهم تلك الخطبة البليغة تكشف فيها بكلمات هادفة واضحة عن نفاقهم وفتنتهم :والناكصين عند النزال الفارين من النزال.

(١) الزمخشري، الكشاف، ج٢، في هامش تفسير الآية ٧٤ من سورة التوبة.

(٢) ابن الصباغ المالكي ، الفصول المهمة : ٤٣ ؛ الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل : ١٧٢/١ .

(٣) المبرد ، الكامل : ١١/١ خلافة عمر . ومعنى ورم أنفه أي امتلئ من ذلك غيضا ، انظر الكامل للمبرد . ١١/١ .

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٢ . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٤٩ .

قال السيد ابن طاووس : عمر خليفتهم لما حضرته الوفاة يترك تدبير الله ورسوله على ما زعمت الأربعة المذاهب من أن اختيار الخلفاء إلى الأمة ، ويترك تدبير أبي بكر في نصبه بالخلافة ويختار هو ستة أنفس للخلافة ويقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وهو عنهم راض ثم يذم كل واحد منهم بسبب من الأسباب ، وقد ذكر ذلك أصحاب التواريخ والعلماء ^١ .

ثم قال : إن اختلفوا فالحق في القوم الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، فقال العباس لعلي بن أبي طالب عليه السلام : ذهب الأمر منا لأن عبد الرحمن كانت بينه وبين عثمان مصاهرة وأمور توجب أنه لا يختار عليه أحدا ^٢ .

فما روى ابن أبي الحديد وابن عبد ربه وابن سعد: أن عمر قال لأصحاب الشورى روحوا اليّ، فلما نظر اليهم: قد جاءني كل واحد منهم يهز عفريته ، يرجو أن يكون الخليفة . فقال: أما أنت ياطلحة أفلست القائل إن قبض النبي (صلى الله عليه وآله) أنكح أزواجه من بعده ، فما جعل الله محمداً (صلى الله عليه وآله) أحق ببنات أعمامنا منا، فأنزل الله تعالى فيك: (وما كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رِسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ...) ^٣ . وأما أنت يا زبير فإن قلبك ما لان يوماً ولا ليلة ، وما زلت جلفاً جافياً . وأما أنت يا عثمان فوالله لروثة خير منك . وأما أنت يا عبد الرحمن فإنك رجل عاجز تحب قومك جميعاً . وأما أنت يا سعد فصاحب عصبية وفتنة . وأما أنت يا علي فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم . فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) مولياً يخرج اعتراضاً واستتكاراً على عمر لأنه قرن علي (عليه السلام) وهو الجامع للإيمان كله بأناس ليس فيهم من الفضيلة شيء يذكر . فقال عمر: والله إني لأعلم مكان رجل لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء . قالوا من هو؟ قال: هذا المولى من بينكم .

(١) الطرائف : ٢ / ١٩٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٢ / ٢٠٠ .

(٣) الأحزاب : ٥٣ .

قالوا: فما يمنعك من ذلك. قال: ليس إلى ذلك من سبيل^١.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٢، ص ٢٥٩. الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٥٤، ترجمة عمر بن الخطاب، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٤٢، ترجمة عمر بن الخطاب.

المبحث الثاني

١. استشراف النبي صلى الله عليه وآله لمخاطر نظام الشورى

أخبر النبي صلى الله عليه وآله بنبوءات عن مخاطر ما يحدث بعده وفي تحذيره قوله : " يوشك الرجل متكئاً على أريكته ، يحدث بحديث من حديثي ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلال استحلناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمانه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله " ١ .

وهذا النص يعد من النبوءات المبكرة التي استشراف النبي صلى الله عليه وآله بقرب حدوثها .

وقبل كل ذلك جاء الإخبار والتحذير من الله تعالى بحدوث الانقلاب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وإن ممن صحبه سيغيرون ويبدلون وينقلبون على أعقابهم ، ومثله جاء تحذير النبي صلى الله عليه وآله من التغيير والتبديل في حديث سوف نذكره ، فأخبار الله تعالى في قوله : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) ٢ .

أما الأحاديث التي استشراف بها النبي لحدوث الانقلاب : عن أبي مليكة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول وهو بين ظهراي أصحابه : " إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم ، والله ليقطننّ دوني رجال فلاقولنّ أي رب مني ومن أمتي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، وما زالوا يرجعون على أعقابهم " ٣ .

وفي حديث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله) بينما أنا قائم فإذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم .

فقلت إلى أين ؟

(١) المستدرک وتصحيحه : ١٩٦/١ ح ٣٨٥ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) صحيح مسلم ، فضائل الصحابة : ١٧٩٤/٤ ، ح ٢٢٩٤ ؛ الجمع بين الصحيحين : ٢١٥/٤ مسند عائشة ، ح ٣٨ .

قال : إلى النار والله .

قلت ما شأنهم ؟

قال : إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم .

فقلت : إلى أين ؟

فقال : إلى النار والله .

قلت ما شأنهم ؟

قال : إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم ^١ .

ومن الأحاديث في ارتداد وانحراف ومخالفة أولئك عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : " وأنتم أشبه الأمم سمناً ببني إسرائيل لتركبنّ طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ^٢ ، غير أنني لا ادري أتعبدون العجل أم لا " ^٣ .

وفي حديث آخر قوله صلى الله عليه وآله عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم " ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟

قال : " فمن " ^٤ .

ونورد عدد من الأحاديث والنصوص في ابلاغ رسول الله صلى الله عليه وآله علي عليه السلام وما يجري عليه بعده :

(١) صحيح البخاري: ٢٠٨/٧ ، كتاب الرقاق ، باب الحوض ؛ الجمع بين الصحيحين ٣/١٩٥.١٩٤ ح ٢٦٧ .
(٢) قال ابن منظور في لسان العرب م ٣ ، ص ٥٠٣ : وفي الحديث قال "صلى الله عليه وآله" أنتم يعني أمته أشبه الأمم ببني إسرائيل تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة ، كما تقدر كل واحدة منهم على صاحبها وتقطع ، والقذ : قطع أطراف الريش على مثال الحذو والتحريف . وأضاف ابن منظور قاتلاً : قال ابن الأثير : يضرب مثلاً للشئيين يستويان ولا يتفاوتان .

(٣) الكشف : ٦١٦/١ ، مورد الآية ٤٤ من المائة .

(٤) صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٥٤ كتاب العلم ح ٤٨٢٢ .

أخرج الحاكم في المستدرک عن ابن عباس : أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي عليه السلام : " أما إنك ستلقي بعدي جهدا " .

قال : في سلامة من ديني ؟

قال (صلى الله عليه وآله) : " في سلامة من دينك " ^١ .

ومنها : كان علي عليه السلام مريضا ، وقد عاده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر وعمر معه ، فقال أحدهما للآخر : ما أراه إلا هالكا ! فقال (صلى الله عليه وآله) : " إنه لن يموت إلا مقتولا ، ولن يموت حتى يملأ غيظا " ^٢ .

وعنه عليه السلام قال : " إن مما عهد إلي النبي صلى الله عليه وآله أن الأمة ستغدر بك بعدي " ^٣ .

وحديث مشهور عن علي عليه السلام ، قال : " بينما رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيدي ، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة ، فقلت : يا رسول الله ، ما أحسنها من حديقة ! فقال : لك في الجنة أحسن منها ، ثم مررنا بأخرى ، فقلت : يا رسول الله ، ما أحسنها من حديقة ! قال : لك في الجنة أحسن منها . ثم مررنا بسبع حدائق كل ذلك أقول : ما أحسنها . ويقول : لك في الجنة أحسن منها ، فلما خلا له الطريق اعتقني ثم أجهد باكياً ، قلت : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ قال : ضغائن في صدور أقوام ، لا يبدونها لك إلا من بعدي " ^٤ .

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد باختلاف في بعض الفاظه بسنده عن عبد الله بن أحمد بن كثير وأحمد بن زهير بسنديهما عن أبي عثمان النهدي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: مررت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها ، قال: لك في الجنة خير منها حتى مررت بسبع حدائق ، قال: وقال أحمد بن زهير: بتسع حدائق كل ذلك أقول له ويقول: لك في الجنة خير منها، قال: ثم جذبني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبكى

(١) المستدرک على الصحيحين : ١٤٠/٣ . وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٢) المصدر نفسه : ١٣٩/٣ ؛ الكامل في التاريخ : ٣٨٧/٣ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ١٤٨/٣ .

(٤) مسند أبي يعلى : ٤٢٦/١ ؛ المستدرک : ١٣٩/٣ .

فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور رجال عليك يبدوها لك من بعدي، فقلت: بسلام من ديني؟ قال: نعم بسلام من دينك^١.

٢. النص ضمان لاستمرارية الدعوة

المقتضيات المنطقية والعقلية تدفع بالوقوف عند تساؤلات مهمة منها هل من المنطق لرسولنا الأعظم صلى الله عليه وآله أن لا يحيط دعوته بضمانات بقاء تدفع عنها انحرافات الأهواء؟

فلا يسوغ افتراض غفلته عن هذه الظاهرة الخطيرة ببداهة علمه صلى الله عليه وآله بما يحيط بشريعته من أخطار تعمل على محوها واستئصال شأفة من يحمل لواءها وعلمه بالمنافقين من حوله وبما جاء فيهم في الكتاب المجيد ، أضف إلى ذلك أن افتراض مثل هذه الغفلة وهذا الإهمال من النبي الأعظم يجعل من الخلفاء من بعده أكثر وعياً منه صلوات الله عليه ؛ لإدراكهم تلك الظاهرة فأوصى أبو بكر بعمر ، وجعل عمر من الشورى طريقاً للخلافة احتياطاً في أمر المسلمين .

كتب السيد عبد المحسن فضل الله في ذلك قائلاً :

افتراض أن النبي صلى الله عليه وآله يعلم بما يحيط بدعوته من أخطار داخلية أو خارجية مجزوم به ولكل قائد نابه فضلاً عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فقبل أن يمضي على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ربع قرن على أكثر تقدير قد عادت طبائع الجاهلية تتحكم في مصير الإسلام ، وأصبحت الخلافة ملكاً ضرورياً^٢.

أما ما لا يمكن افتراضه هو أن الرسول صلى الله عليه وآله اعتمد في حفظ رسالته على المهاجرين والأنصار ورواسبهم الجاهلية والقبلية الذين تأثروا بها وترعرعوا عليها كما ظهر ذلك منهم في سقيفة بني ساعدة حين وقع الخلاف بين الأنصار أنفسهم ، وبين الأنصار والمهاجرين ،

(١) وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٧، قال "ع" فإذا لا أبالي.

(٢) (الإسلام وأسس التشريع : ٧٥ .

وكان كلٌّ يميل إلى عشيرته ، ويجر النار إلى قرصه ، وما ذاك إلا لضغط عوامل البيئـة والنشأة ، فتلك العوامل البيئية إذ لم تكن تخفى على الخليفة الأول والثاني ، كما يُقرأ ذلك في مواقفهما وتصريحاتهما وخاصة الثاني عندما أراد الاستخلاف من بعده وكيف أظهر الحيرة فيمن يجعله سياًجاً للإسلام يحفظ به مبادئه ، ويدفع به غوائل كيد المتربصين لكيدـه ، فكيف يخفى ترك أمر الخلافة للمسلمين على مثل أعظم قائد بشري رسالي عرفته البشرية ؟^١ .

وفي ضوء السياق التاريخي الذي وقعت فيه محنة النص النبوي وانطلقت سلطة الرأي لتحل محله ، ولأن السقيفة لم تكن سوى المنعطف الأول ، أو بؤرة لانعكاس المخبوء والمستتر من واقع المجتمع الإسلامي ، فالسقيفة هي بمثابة محطة ضرورية لفهم السيرة النبوية فهما حقيقيا ، وكذلك محطة ضرورية في إيضاح تاريخ الخلافة والخلفاء .

بيّن الرسول صلى الله عليه وآله عندهم صفات الإمام فأعرضوا عنه وعملوا بخلافه ، وسمعوا بيان صفات الإمام من الرسول صلى الله عليه وآله ووقفوا عليها وحسن عندهم عقدها لأحدهم خلافاً لما سمعوه ووقفوا عليه ، ولما روى أبو بكر للأنصار الخبر المقتضي لحصول الإمام في المهاجرين أحسنوا الظن به ، وصدقوه وعدلوا عما كانوا هموا به .

الفصل الرابع

الاحتجاج بالنص وشهادة المخالفين

المبحث الأول

إقرار المخالفين وعلماء المذاهب الإسلامية بالنص

لا بد لنا أن نميز بين المخالفين أعداء أهل البيت عليهم السلام من المتقدمين والمتأخرين ملوكاً وسلاطين أو علماء وفقهاء ومن كُتِبَ في السنن والسير والتواريخ ، وبين المعتدلين المنصفين من علماء وكتّاب المذاهب الإسلامية الذين عَقَّبُوا على ما رووه من أحاديث أو تفاسير ، وأقروا بأن علياً عليه السلام الخليفة والوصي ، فما نجده من عبارات الولاء لأمير المؤمنين لهؤلاء العلماء هو منجاة لهم ، وإن كانوا ذكروا تلك الأحاديث التي لا يُعتد بها عند الإمامية ، وأثنوا كثيراً على من خالف رسول الله صلى الله عليه وآله بحسب ما وجدوه من أحاديث تمدحهم وفضائل موضوعة تحسّن سيرتهم ، لكن نلتمس لهم الأعذار للإحراج والضغط والإجبار الذي يتعرضون له لقص تلك القصص والروايات والأحاديث وإشاعتها ، أو غير ذلك من الأسباب المعروفة ، ففي كل الأحوال هم جعلوا القارئ هو الحكم والمميز لمعرفة الحق من الباطل ، خاصة بعد إيرادهم اعترافات صريحة ومؤيدة ببراهين وأدلة بشأن خلافة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذه التصريحات منهم دحضت ما جاءوا به من تلك الفضائل المكشوفة وحسن السيرة للذين تكالبوا على خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مسجى بين يدي ابن عمه عليهما الصلاة والسلام ، ولم ينالوا حتى شرف تجهيزه أو الصلاة عليه أو دفنه .

عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان عند أبي بكر إذ جاء علي والعباس، فقال العباس: أنا عم رسول الله "صلى الله عليه وآله" ووارثه، وقد حال علي بيني وبين تركته.

فقال أبو بكر: فأين كنت يا عباس حين جمع النبي (صلى الله عليه وآله) بني عبد المطلب وأنت أحدهم فقال: أياكم يؤازرنى ويكون وصيى، وخليفتي في أهلي، وينجز عدتي، ويقضي ديني؟ فقام علي "عليه السلام" من بينكم .

فقال له العباس . أي لأبي بكر . بمجلسك تقدمته وتأمرت عليه ؟^١ .

(١) أي إن كان هكذا كما تقول: لماذا تقدمت عليه وغصبت أمره؟

فقال أبو بكر: أغدراً يابني عبد المطلب ^١ .

وروى ابن أبي الحديد حواراً دار بين عمر وعبد الله بن عباس بما يمت بأمر الخلافة والإمامة بعد النبي "صلى الله عليه وآله" قال ابن عباس: دخلت على عمر في أول خلافته.

فقال عمر: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد.

قال: كيف خلفت ابن عمك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت علياً؟

قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتها! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله "صلى الله عليه وآله" نص عليه؟

قلت: نعم وأزيدك سألت أبي عما يدعيه.

فقال: صدق.

قال عمر: لقد كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان النبي "صلى الله عليه وآله" يربع لأمره وقتاً ما ^٢، ولقد أراد أن يصرح باسمه فمنعته من ذلك ^٣ إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قریش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله "صلى الله عليه وآله" أنني علمت ما في نفسه فامسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم ^٤ .

ومنها شهادة معاوية عندما كتب إليه محمد بن أبي بكر كتاباً نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) أي أن تأخذوا مني الإقرار والاعتراف بحق علي "عليه السلام" وأولويته للخلافة وتحكموا عليّ بما أتقوه به وأقوله بنفسه ولساني . انظر الرواية في تاريخ اليعقوبي: ١٨٥/٢؛ تاريخ دمشق: ٥٠/٤٢، وأسقط منه كلمة العباس لأبي بكر حيث تدنيه على تقدمه وتأمره على أمير المؤمنين "عليه السلام" .

(٢) أي كان يتربص الفرصة لذلك .

(٣) بقوله إن الرجل ليهجر .

(٤) شرح نهج البلاغة: ٢٠/١٢-٢١ .

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي بن صخر ، سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله ، أما بعد فإن الله انتخب محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ، فاختره برسالته ، واختاره لوحيه ، وأثمنه على أمره ، وبعثه رسولا مصدقا لمن بين يديه من الكتب ، ودليلا على الشرائع ، فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان أول من أجاب وأجاب ، وصدق ووافق ، وأسلم وسلم ، أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فصدقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم فوقاه كل هول ، وواساه بنفسه في كل خوف ، فحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الأزل ، ومقامات الروح ، حتى برز سابقا لا نظير له في جهاده ، ولا مقارب له في فعله . وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ، وهو المبرز السابق في كل خير ، أول الناس اسلاما ، وأصدق الناس نية ، وأطيب الناس ذرية ، وأفضل الناس زوجة ، وخير الناس ابن عم ، ثم لم تنزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله ، وتجهدان على اطفاء نور الله ، وتجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتخالفان فيه القبائل ، على ذلك مات أبوك ، وعلى ذلك خلفته ، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ، ورؤس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله . والشاهد لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم ، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأتى الله عليهم ، من المهاجرين والأنصار ، فهم معه عصائب وكتائب حوله ، يجالدون بأسياهم ، ويهريقون دماءهم دونه ، يرون الفضل في إتباعه ، والشقاء في خلافه ، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعلي ، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووصيه وأبو ولده وأول الناس له اتباعا ، وآخرهم به عهدا ، يخبره بسره ويشركه في أمره .

وكتب معاوية في جوابه :

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر ، سلام على أهل طاعة الله ، أما بعد فقد أتاني كتابك ، تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه وما أصفى به نبيه ، مع كلام ألفته ووضعته ، لرأيك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت حق ابن أبي طالب ، وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله صلى الله عليه وآله ، ونصرته له ومواساته إياه في كل خوف وهول ، واحتجاجك علي بفضل غيرك لا بفضلك . فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك ، وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا صلى الله عليه وآله ، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته وأفلج حجته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه وخالفه ، على ذلك اتفقا واتسقا ، ثم دعوا إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايع وسلم لهما

، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قبضا وانقضى أمرهما ، ثم قام بعدهما
ثالثهما عثمان بن عفان ، يهتدي بهديهما ^١ .

وروى الخوارزمي كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية قال فيه :

فأما ما دعوتني إليه ، وإعانتني إياك على الباطل ، واختراط السيف في وجه علي وهو أخو
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصيه ووارثه ، وقاضي دينه ومنجز وعده وزوج ابنته ^٢ .

قال السيد علي بن طاووس : أما ترى هذا قد كان مشهورا ، ومما يدل على ظهور النص
واشتهاره ما ذكره جماعة من أصحاب التواريخ والعلماء أيضا ، وهو أن المأمون الخليفة العباسي
جمع أربعين رجلا من علماء المخالفين لأهل البيت وناظرهم بعد أن أبسطهم ووثقهم من الإنصاف
، وأثبت عليهم الحجة بأن علي بن طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته والمستحق
للقيام مقامه في أمته ، وأورد نصوصا كثيرة قد نقلها المسلمون ، وتفصيلها في مناظرته ، فاعترف
له الأربعون نفساً أن علياً عليه السلام هو المنصوص له بالخلافة ، وللمأمون أبيات كثيرة في ذلك
، ومما ذكره الصولي في كتاب الأوراق من جملتها :

ألام على شكر الوصي أبا الحسن وذلك عندي من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الناس والأول الذي أعان رسول الله في السر والعلن ^٣ .

والمقريزي في خطبه يقول : عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاته علي (عليه السلام)
في عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مثل سلمان الفارسي الذي قال: بايعنا رسول الله (صلى
الله عليه وآله) على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) والموالاته له ،
ومثل أبي سعيد الخدري الذي قال : أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة ، ولما سئل عن
الأربع قال : الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج، قيل فما الواحدة التي تركوها؟ قال : ولاية
علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، قيل له: وإنها لمفروضة معهن؟ قال: نعم هي مفروضة معهن،

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر: ٢٠/٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٨٨/٣. وأورد تمام
الكتابين نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين .

(٢) مناقب الخوارزمي : ١٢٥ .

(٣) الطرائف : ٣٠ .

ومثل أبي ذر وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري وقيس بن سعد بن عبادة^١ .

ويروي ابن أبي الحديد عن أبي القاسم البجلي وتلامذته من المعتزلة: لو نازع علي (عليه السلام) عقيب وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّ سيفه لحكنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه ، كما حكنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة ، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال: "علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار"، وقال له غير مرة: "حربك حربي وسلمك سلمتي"^٢ .

وفي ثبوت ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام هو ما قاله عبد الله بن علي عم السفاح عندما قدم الشام وقتل بني أمية يحثهم: ويلكم أليس لنا الأمر ديانته ، أليس كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى لعلي^٣ .

وروى الحافظ أبو محمد بن أبي الفوارس عن عائشة: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي يده خاتم فضة وفصه عقيق فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ قال: " هذا أتاني به جبرائيل عليه السلام من عند الله فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك تختم بالعقيق الأحمر، فقلت: وما العقيق؟ قال: جبل باليمن يشهد لله بالتوحيد، ولك بالنبوة ، ولعلي بالوصية ، ولذريته بالإمامة، ولشيعته بالجنة^٤ .

(١) خطط الشام : ٥ / ٢٥١ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٩٧ ، باب ٣٧ .

(٣) تذكرة الحفاظ : ١ / ١٨١ .

(٤) كتاب الأربعين، ص ١٤٩ .

وورد ذكره في شعر الشعراء منذ عصر الصحابة وانتشر في أشعار الصحابة والتابعين وكتب اللغة ، منها قول حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وآله في قصيدته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله :

جزى الله عنا والجزاء بكفه أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
حفظت رسول الله فينا وعهده إليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيه وأعلم منهم بالكتاب والسنن^١

وفي ذكر ولاية الظافر^٢ كتب القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحباب إلى طلائع بن رزيق وهو والي قوص وأسوان والصعيد قصيدته الدالية التي أولها :

دمعي عن نظم القريض غواذي وشف فؤادي شجوه المتمادي
وأرق عيني والعيون هواجع هموم أقضت مضجعي ووسادي
بمصرع أبناء الوصي وعثرة النبي وآل الذاريات وصاد
فأين بنو رزيق عنهم ونصرهم ومالهم من منعة وذياد^٣

ومن احتجاج المأمون العباسي على إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد في عدم كفاءة وصلاح الأول منهم ، حيث بعث إليه يحيى بن أكثم قاضي القضاة مع أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب في مناقرة طويلة نورد بعضها:

(١) شرح نهج البلاغة : ٤٧/١ .

(٢) الظافر بالله أبو منصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد ابن الأمير محمد ابن الخليفة المستنصر معد بن الظاهر علي بن الحاكم منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد التاسع من خلفاء مصر من بني عبيد والثاني عشر منهم ممن ولي من أجداده خلفاء المغرب ببيع بالخلافة بعد موت أبيه الحافظ في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة وهو ابن سبع عشرة سنة وأشهر . النجوم الزاهرة : ٢٨٩/٥ .

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٢٩٠/٥ .

قال المأمون: اقرأ السبق في الإسلام في قوله تعالى: (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون) إنما عني من سبق الى الإسلام فهل تعلم أحدا سبق علياً "عليه السلام" الى الإسلام؟
قال إسحاق: إن علياً "عليه السلام" اسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وابو بكر اسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال المأمون: اخبرني عن إسلام علي "عليه السلام" حين اسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله "صلى الله عليه وآله" دعاه الى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟
قال إسحاق: فأطرقت.

فقال لي: يا إسحاق لا تقل إلهاماً فتقدم على رسول الله لأنه "صلى الله عليه وآله" لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى.

قال إسحاق: أجل بل دعاه رسول الله "صلى الله عليه وآله" الى الإسلام .

قال يا إسحاق: فهل يخلو رسول الله "صلى الله عليه وآله" حين دعاه الى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟
قال إسحاق: فأطرقت.

فقال يا إسحاق: لا تنسب رسول الله "صلى الله عليه وآله" الى التكلف فإن الله يقول: (وما أنا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)^١.

قال إسحاق: أجل بل دعاه بأمر الله.

قال: فهل من صفة الجبار جل ذكره أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم.

قال إسحاق: أعوذ بالله.

قال المأمون: فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه وآله" ماتجد لعلي "عليه السلام" في الجهاد؟ وهل تجد لأحد الا دون ما تجد لعلي "عليه السلام" يوم بدر قتل علي "عليه السلام" وحده ثلاثة وعشرين من نيف وستين رجلاً.

قال إسحاق: كان أبو بكر مع رسول الله "عليه السلام" في عريشه.

قال المأمون: ماذا يصنع؟

قال: يدبر.

قال: ويحك! يدبر دون رسول الله "صلى الله عليه وآله" أو معه شريكاً أم افتقاراً من رسول الله "صلى الله عليه وآله" الى رأيه؟ أي الثلاث أحب إليك؟

قال إسحاق: أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله "صلى الله عليه وآله" أو أن يكون معه شريكاً أو أن يكون برسول الله "صلى الله عليه وآله" افتقاراً الى رأيه.

قال: فما الفضيلة في العيش إذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين رسول الله "صلى الله عليه وآله" أفضل ممن هو جالس؟ قرأت في كتاب الله: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)^١. ثم قال له المأمون: اقرأ قوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) الى قوله: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ ...)^٢.

وذكره بحديث الطائر المشوي وأيد صحته.

ثم قال إسحاق: إن لأبي بكر فضلاً.

قال المأمون: لولا أن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه، فما فضله الذي قصدت الساعة؟ قال: قوله تعالى: (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)^٣ فنسبه الى صحبته.

قال: يا إسحاق إني وجدت الله تعالى نسب الى صحبة من رضيه ورضى عنه كافراً، وهو قوله تعالى: (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً * لکننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً)^٤.

قال إسحاق: إن قدر الآية عظيم: (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا).

قال: يا إسحاق اخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضاً أم سخطاً؟

قال: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله "صلى الله عليه وآله" خوفاً عليه وغماً أن يصل الى رسول الله "صلى الله عليه وآله" شيئاً من المكروه.

قال: فكان الله جل ذكره بعث الينا رسولاً ينهى عن رضا الله عز وجل وعن طاعته.

قال إسحاق: أعوذ بالله .

قال المأمون: أوليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا الله؟

قال: بلا.

قال: أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله "صلى الله عليه وآله" قال له: لا تحزن نهياً له عن الحزن.

قال: أعوذ بالله.

(١) النساء : ٩٥ .

(٢) الإنسان : ٨ . ١ .

(٣) التوبة : ٤٠ .

(٤) الكهف : ٣٧ . ٣٨ .

قال: يا إسحاق إن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيز به.

قال المأمون: وحدثني عن قول الله: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) من عني بذلك رسول الله "صلى الله عليه وآله" أم أبا بكر؟
قال: بل رسول الله "صلى الله عليه وآله" .
قال: صدقت.

قال: فحدثني عن قول الله عز وجل: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ) إلى قوله: (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) اتعلم من المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضع.
قال إسحاق: لا ادري.

قال المأمون: الناس جميعاً انهزموا، فلم يبقى مع رسول الله "صلى الله عليه وآله" الا سبعة نفر من بني هاشم: علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله "صلى الله عليه وآله" والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله، والخمسة محققون به خوفاً من أن ينال من جراح القوم شيئاً، حتى أعطى الله لرسوله الظفر، فالمؤمنون في هذا الموضع علي "عليه السلام" خاصة ثم من حضره من بني هاشم.
قال: فمن أفضل: من كان مع رسول الله "صلى الله عليه وآله" في ذلك الوقت أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟
قال: بل من أنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق من أفضل: من كان معه في الغار أم من نام على فراشه حتى تم لرسول الله "صلى الله عليه وآله" ما اراد من الهجرة؟
يا إسحاق: هل تروي حديث الولاية؟
قال: نعم فرواه.

قال: يا إسحاق رأيت هذا الحديث، هل اوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟
قال: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي "عليه السلام"، وانكر ولاء علي "عليه السلام"، فقال رسول الله "صلى الله عليه وآله" : من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: وفي أي موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟

قال إسحاق: اجل.

قال المأمون: فإن زيد بن حارثة قتل قبل الغدير، كيف رضيت لنفسك بهذا يا إسحاق.

لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جل ذكره قال: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)^١. ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمرهم فأطاعوا أمرهم.

يا إسحاق: أتروي حديث: أنت مني بمنزلة هارون من موسى؟

قال: نعم. قد سمعت من صححه وجده .

قال: فمن أوثق عندك؟

قال: من صححه.

يا إسحاق فما معنى: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي " .

قال: إنما أراد أن يطيب بذلك نفس علي " عليه السلام" لما قال المنافقون إنه خلفه استئقلاً له.

قال: فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له؟

يا إسحاق له معنى في كتاب الله بين .

قال إسحاق: ماهو .

قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى انه قال لأخيه: (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)^٢ .

قال إسحاق: إن موسى " عليه السلام" خلف هارون " عليه السلام" في قومه وهو حي ومضى إلى ربه، وإن رسول الله " صلى الله عليه وآله" خلف علياً " عليه السلام" كذلك حين خرج إلى غزاته.

قال: كلا ليس كما قلت، اخبرني عن موسى حين خلف هارون، هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل؟

قال: لا.

قال: أوليس استخلفه على جماعتهم؟

قال: نعم.

قال: فاخبرني عن رسول الله " صلى الله عليه وآله" حين خرج إلى غزاته، هل خلف إلا الضعفاء والنساء والصبيان؟ فأنى يكون مثل ذلك؟

وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه ولا أعلم أحداً احتج به، وأرجو أن يكون توفيقاً من الله.

قال: وما هو .

قال: قوله عز وجل حين حكى عن موسى "عليه السلام" قوله: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا ، وَنُذَكِّرَكَ كَثِيْرًا ، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا)^١.

فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى، وزيري من أهلي، وأخي أشدد به أزمي، وأشركه في أزمي، كي نسبح الله كثيرًا، ونذكره كثيرًا. فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئًا غير هذا؟ ولم يكن ليبطل قول النبي "صلى الله عليه وآله" وأن يكون لامعنى له. فقال إسحاق بعد قول طويل مع من معه : اللهم اني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته^٢.

(١) طه : ٢٩ - ٣٥ .

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب : ٩٢/٥ - ١٠١ .

المبحث الثاني

احتجاج ومناشدة أمير المؤمنين عليه السلام

احتج أمير المؤمنين وناشدهم كثيراً منها بعد يوم السقيفة ، ويوم الشورى ، وأيام عثمان ، ويوم الجمل وصفين^١ ، ورواها جمع غير يسير من الصحابة والتابعين ، وتضافرت بها الأسانيد في كتب العلماء ، واحتج بالنص جمع كبير ممن ذكرنا وحتى الخلفاء والملوك والوزراء والمحدثين والعلماء والمتكلمين ، ولا نطيل بذكرهم المقال ، ومن الأصحاب من أنكر النص في أمير المؤمنين بعد أن ناشدهم وأخفوا ما سمعوه ووعوه فاصابتهم دعوى العبد الصالح بإخفاءهم وانكارهم النص .

روى ابن أبي الحديد قال : روى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن إن عليا عليه السلام نشد الناس من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ " ، فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم فلم يشهد وكان يعلمها فدعا علي عليه السلام عليه بذهاب البصر فعمى فكان يحدث الناس بالحديث بعد ما كف بصره^٢ .

ومن أشهر احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام خطبته الشقشقية ، ومناشدته أصحاب الشورى الذين كلٌّ منهم أمر نفسه ويريد أن يتأمر على سيد الأوصياء ، وكذلك تلك الخطبة البليغة التي ذكرها ابن طاووس رضوان الله عليه في كتابه كشف المحجة قال فيها :

" ولقد قبض الله محمداً نبياً صلى الله عليه وآله ولأننا أولى الناس به ، مني بقميصي هذا وما ألقى في روعي ولا عرض في رأيي ، أن وجه الناس إلى غيري فلما أبطأ عني بالولاية لهممهم وتثبیط الأنصار وهم أنصار الله وكتيبة الإسلام قالوا ما إذا لم تسلموها لعلي فصاحبنا أحق لها من غيره فوالله ما أدري إلى من أشكو إما أن يكون الأنصار ظلمت حقها ، وإما أن يكونوا ظلموني حقي بل حقي المأخوذ وأنا المظلوم ، فقال قائل قريش إن نبي الله صلى الله عليه وآله قال الأئمة من قريش فدفعوا الأنصار عن دعوتها ومنعوني حقي منها فأتاني رهط يعرضون علي النصر منهم أبناء سعيد والمقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي والزيبر بن العوام والبراء بن عازب فقلت لهم إن عندي من نبي الله صلى الله عليه وآله إلي وصية لست أخالفه عما أمرني به فوالله لو خرموني بأنفي لأقررت لله تعالى سمعا وطاعة ، فلما رأيت الناس قد انتالوا على أبي بكر للبيعة أمسكت يدي وظننت أنني أولى وأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله منه ومن غيره

(١) وردت هذه المناشدات العلامة الأميني : ١٩٥ / ١ - ١٩٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٣٦٢ / ١ .

وقد كان نبي الله أمر أسامة بن زيد على جيش وجعلهما في جيشه وما زال النبي صلى الله عليه وآله إلى أن فاضت نفسه يقول أنفذوا جيش أسامة أنفذوا جيش أسامة فمضى جيشه إلى الشام حتى انتهوا إلى (أذرعات) فلقي جيشا من الروم فهزموهم وغنمهم الله أموالهم ، فلما رأيت راجعة من الناس قد رجعت من الإسلام تدعوا إلى محو دين محمد وملة إبراهيم عليه السلام خشيت إن أنا لم أنصر الاسلام وأهله أرى فيه ثلما وهدما تكون المصيبة علي فيه أعظم من فوت ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم تزول وتنتشع كما يزول ويتشع السحاب فهضت مع القوم في تلك الأحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا وإن زعم الكافرون ، ولقد كان سعد لما رأى الناس يبائعون أبا بكر نادى : أيها الناس إني والله ما أردتها حتى رأيتم تصرفونها عن علي عليه السلام ولا أباعكم حتى يبائع علي ولعلي لا أفعل وإن بايع ، ثم ركب دابته وأتى (حوران) وأقام في خان حتى هلك ولم يبائع ، وقام فروة بن عمر الأنصاري وكان يقود مع رسول الله صلى الله عليه وآله فرسين ويصرع ألفاً ويشترى ثمراً فيتصدق به على المساكين فنادى : يا معشر قريش أخبروني هل فيكم رجل تحل له الخلافة وفيه ما في علي عليه السلام فقال قيس بن مخزومة الزهري : ليس فينا من فيه ما في علي ، فقال له صدقت فهل في علي عليه السلام ما ليس في أحد منكم قال نعم ، قال فما يصدكم عنه قال اجتماع الناس على أبي بكر ، قال أما والله لئن أصبتم سنتكم لقد أخطأتم سنة نبيكم ، ولو جعلتموها في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم فولى أبي بكر فقارب واقتصد فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً حتى إذا احتضرت قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الامر عني ولولا خاصة بينه وبين عمر أمر كانا رضياه بينهما لظننت أنه لا يعدله عني وقد سمع قول النبي صلى الله عليه وآله لبريدة الأسلمي حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن وقال إذا افترقتما فكل واحد منكما على حياله وإذا اجتمعتما فعلي عليكم جميعاً فغزونا وأصبنا سبياً فيهم خولة بنت جعفر جار الصفا وإنما سمي جار الصفا من حسنه فأخذت الخيفة خولة واغتتمها خالد مني وبعث بريدة إلى رسول الله محرشاً علي فأخبره بما كان من أخذ خولة ، فقال يا بريدة حظه في الخمس أكثر مما أخذ ، إنه وليكم بعدي سمعها أبو بكر وعمر وهذا بريدة حي لم يموت ، فهل بعد هذا مقال لقائل فبايع عمر دون المشورة ، فكان مرضي السيرة من الناس عندهم حتى إذا احتضرت قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الامر عني للذي قد رأى مني في المواطن ، وسمع من الرسول صلى الله عليه وآله فجعلني سادس ستة وأمر صهيباً أن يصلي بالناس ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الأنصاري فقال له : كن في خمسين رجلاً من قومك فاقتل من أبى أن يرضى من هؤلاء الستة فالعجب من اختلاف القوم إذ زعموا أن أبا بكر استخلفه النبي

صلى الله عليه وآله ، فلو كان هذا حقا لم يخف على الأنصار فبايعه الناس على الشورى ثم جعلها أبو بكر لعمر برأيه خاصة ، ثم جعلها عمر برأيه شورى بين ستة فهذا العجب من اختلافهم ، والدليل على ما لا أحب أن أذكر قول هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض فكيف يأمر بقتل قوم رضي الله عنهم ورسوله ، إن هذا الامر عجيب ، ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولائتي ، كانوا يسمعون وأنا أحاج أبا بكر فأنا أقول يا معشر قريش أنا أحق بهذا الامر منكم ، ما كان منكم من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين دين الله الحق ، وإنما حجتني أني ولي هذا الامر من دون قريش ، إن نبي الله صلى الله عليه وآله قال الولاء لمن أعتق ف جاء رسول الله صلى الله عليه وآله يعتق الرقاب من النار وأعتقها من الرق فكان للنبي صلى الله عليه وآله ولاء هذه الأمة ، وكان لي بعده ما كان له ، فما جاز لقريش من فضلها عليها بالنبي صلى الله عليه وآله جاز لبني هاشم على قريش وجاز لي على بني هاشم ، يقول النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم : "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" ، إلا أن تدعي قريش فضلها على العرب بغير النبي صلى الله عليه وآله فإن شأؤوا فليقولوا ذلك فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن آخذ بأنفاسهم وأعرض في حلوقهم ولا يكون لهم في الامر نصيب ، فأجمعوا على إجماع رجل واحد منهم حتى صرفوا الولاية عني إلى عثمان رجاء أن ينالوها ويتداولوها فيما بينهم ، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد لا يدري من هو ، وأظنه جنيا فأسمع أهل المدينة ليلة بايعوا عثمان ، فقال :

يا ناعي الإسلام قم فأنعه قد مات وبدا منكر

ما لقريش لا على كعبها من قدموا اليوم ومن أخرها

إن عليا هو أولى به منه فولوه ولا تتكروا

فكان لهم في ذلك عبرة ولولا أن العامة قد علمت بذلك لم أذكره ، فدعوني إلى بيعة عثمان فبايعت مُستكرهاً ، وصبرت مُحْتَسِباً وعلمت أهل القنوت أن يقولوا : اللهم لك أخلصت القلوب وإليك شخصت الابصار وأنت دعيت بالألسن وإليك تحوكم في الأعمال فافتح بيننا وبين قومنا بالحق ، اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وقلة عددنا وهواننا على الناس وشدة الزمان ووقوع الفتن بنا اللهم ففرج ذلك بعدل تظهره وسلطان حق تعرفه ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا بن أبي طالب إنك على هذا الامر لحريص ، فقلت لست عليه حريصاً إنما أطلب ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وحقه ، وإن ولاء أمته لي من بعده ، وأنتم أحرص عليه مني إذ تحولون بيني وبينه وتصرفون وجهي دونه بالسيف ، اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي وأضاعوا أيامي

ودفعوا حقي وصغروا قدري وعظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم فاستلبوني به ، ثم قالوا اصبر مغموماً أو مت متأسفاً ، وأيم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببي فعلوا ولكنهم لا يجدون إلى ذلك سبيلا ، إنما حقي على هذه الأمة كرجل له حق على قوم إلى أجل معلوم ، فإن أحسنوا وعجلوا له حقه قبله حامداً وإن أخروه إلى أجله غير حامد وليس يعاب المرء بتأخير حقه إنما يعاب من أخذ ما ليس له ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلي عهداً فقال يا بن أبي طالب لك ولاء أمتي ، فإن ولوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم ، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه فإن الله سيجعل لك مخرجاً ، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا معي مساعد إلا أهل بيتي فظننت بهم عن الهلاك ولو كان لي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عمي حمزة وأخي جعفر لم أبايع كرهما ، ولكنني بليت برجلين حديثي عهد بالإسلام العباس وعقيل فظننت بأهل بيتي عن الهلاك فأغضيت عيني على القذى ، وتجرعت ريقى على الشجا وصبرت على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار ، وأما أمر عثمان فكأنه علم من القرون الأولى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، خذله أهل بدر وقتله أهل مصر والله ما أمرت ولا نهيت ولو أنني أمرت كنت قاتلاً ، ولو أنني نهيت كنت ناصراً ، وكان الأمر لا ينفع فيه العيان ولا يشفي منه الخبر ، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول هو خذله من أنا خير منه ، ولا يستطيع من خذله أن يقول نصره من هو خير مني ، وأنا جامع أمره استأثر فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، والله يحكم بيننا وبينه ، والله ما يلزمني في دم عثمان تهمة ، ما كنت إلا رجلاً من المسلمين المهاجرين في بيتي فلما قتلوه أتيتهموني تبايعوني فأبيت عليكم وأبيتهم علي ، فقبضت يدي فبسطتموها وبسطتها فمددتموها ثم تداككتم عليّ تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطي الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن حمل إليها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل إليها العليل وحسرت لها الكعبات ، فقالوا بايعنا على ما بويع عليه أبو بكر وعمر فإننا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف ، فبايعتكم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ودعوت الناس إلى بيعتي فمن بايعني طائعا قبلت منه ومن أبى تركته ، فكان أول من بايعني طلحة والزبير فقالا نبايعك على أنا شركاؤك في الأمر ، فقلت لا ولكنكما شركائي في القوة وعوناي في العجز ، فبايعاني على هذا الأمر ولو أبيا لم أكرهما كما لم أكره غيرهما وكان طلحة يرجو اليمن والزبير يرجو العراق فلما علما أنني غير موليهما استأذناني للعمرة يريدان الغدر فاتبعا عائشة واستخفاها مع كل شئ في نفسها علي ، والنساء نواقص الإيمان نواقص العقول

نواقص الحظوظ ، فأما نقصان إيمانهم فمعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن ، وأما نقصان عقولهن فلا شهادة لهن إلا في الدين وشهادة امرأتين برجل ، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال ، وقادهما عبيد الله بن عامر إلى البصرة وضمن لهما الأموال والرجال ، فبينما هما يقودانها إذ هي تقودهما فاتخاذها فئة يقاتلان دونها ، فأبي خبيثة أعظم مما أتيا إخراجهما زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله من بيتها فكشفا عنها " ١ .

ومن تلك الدلائل والاحتجاجات والاعترافات نجد أن أولئك على اختلاف حججهم الضعيفة تبين أنهم لا يقتضون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ، وذكر اليعقوبي احتجاج الخوارج على الإمام علي عليه السلام جاء فيه :

قالوا إنه ضيع الوصية ، فكان من جوابه عليه السلام : " أما قولكم إني كنت وصياً فضيقت الوصية فإن الله عز وجل يقول : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) ٢ ، أفأرىتم هذا البيت لو لم يحج إليه أحد كان البيت يكفر ؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر ، وأنتم كفرتم بترككم إياي لا أنا بتركي لكم " ٣ .

ومن خطب أمير المؤمنين التي احتج بها على الخلافة قوله عليه السلام : اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم ، فإنهم قد قطعوا رحمي وأكفئوا إنائي ، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري ، وقالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه ، فاصبر مغموماً ، أو مت متأسفاً ، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا داب ولا مساعد إلا أهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية ، فأغضيت على القذى ، وجرعت ريقي على الشجا ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من وخز الشفار " ٤ .

وقال عليه السلام : " أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً " صلى الله عليه وآله " نذيراً للعالمين ومهيماً على المرسلين ، فلما مضى " صلى الله عليه وآله " تنازع المسلمون الأمر من بعده فو الله ما كان يلقي في روعي ، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده " صلى الله

(١) كشف المحجة : ١٧٩ - ١٨٢ .

(٢) آل عمران : ٩٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٩٣ .

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١١ ، ص ١٠٩ .

عليه وآله" فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه^١ .

وقال عليه السلام في خطبته الشقشقية :

" أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت ارتئي بين أن أصول بيدٍ جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، ثم تمثل بقول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر ، فيا عجباً: بينا هو يستقلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدما تشاطرا ضرعيها: فصيرها في حوزة خشنا يغلظ كلمها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقم، فمُني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني احدهم، فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! لكنني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين تثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن إنتكت عليه قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته... فما راعني إلا والناس كعرق الضبع إليّ، ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسان، وشق عطاياي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر، نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)^٢ ، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن حليت الدنيا بأعينهم وراقهم زبرجها، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتلوا

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة: ١٣٣/١ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة : ١٧١/١٧ ؛ منهاج البراعة في

شرح نهج البلاغة : ٢١٩/٣ .

(٢) القصص : ٨٣ .

على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولقيت آخرها بكأس أولها، ولأفئتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز".
فناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع الحديث وتناول الكتاب فقلت . أي ابن عباس . : يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالتيك حيث بلغت فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت، فقال ابن عباس: ما أسفت على كلام قط أسفي على كلام أمير المؤمنين "عليه السلام" حيث أراد .^١

ومن تلك الاحتجاجات قوله : أنه لما اتصل بعلي بن أبي طالب عليه السلام أن الناس قالوا ما له لم ينازع أبا بكر وعمر وعثمان كما نازع طلحة وزبير؟ قال : فخرج مرتدياً ثم نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الصحابة قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا معاشر الناس بلغني أن قوماً قالوا ما له لم ينازع أبا بكر وعمر وعثمان كما نازع طلحة وزبير وعائشة ، وإن لي في سبعة أنبياء (عليهم السلام) أسوة :

أولهم : نوح (عليه السلام) فقال الله تعالى مخبراً عنه (رب إني مغلوب فانتصر)^٢ فإن قلت ما كان مغلوباً فقد كذبت القرآن ، وإن كان ذلك كذلك فعلي أعذر .

الثاني : إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) حيث يقول : (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله)^٣ فإن قلت انه ما اعتزلهم من غير مكروه فقد كفرتم ، وإن قلت إنه رأى المكروه منهم فاعتزلهم فعلي أعذر .

الثالث : لوط ابن خال إبراهيم (عليهما السلام) إذ قال لقومه : (لو أن لي قوة أو آوي إلى ركنٍ شديد)^٤ ، فإن قلت كان له قوة واعتزلهم فقد كفرتم ، وإن قلت إنه لم يكن له بهم قوة فاعتزلهم فالوصي أعذر .

(١) الطرائف : ٤٢٠ . ٤٢٢ .

(٢) القمر : ١٠ .

(٣) مريم : ٤٨ .

(٤) هود : ٥٢ .

الرابع : يوسف (عليه السلام) إذ قال (رب السجن أحبُّ إلي مما يدعونني إليه)^١ ، فإن قلت إنه دعى إلى ما يسخط الله عز وجل فاخترت السجن فالوصي أعذر .

والخامس : موسى بن عمران (عليه السلام) إذ قال : (ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين)^٢ ، فإن قلت إنه فرّ منهم من دون خوف فقد كفرتم ، وإن قلت إنه فرّ منهم خوفاً فالوصي أعذر .

والسادس : هارون (عليه السلام) إذ قال : (يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين)^٣ ، فأنت قلت إنهم ما استضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم ، وإن قلت إنهم استضعفوه وأشرفوا على قتله فالوصي أعذر .

والسابع : محمد (صلى الله عليه وآله) إذ هرب إلى الغار خوفاً فإن قلت إنه هرب من غير خوف أخافوه فقد كفرتم وإن قلت إنهم أخافوه فلم يسعه إلا الهرب فالوصي أعذر .

فقال الناس : صدق أمير المؤمنين (عليه السلام) وهذا هو الحق والعذر الواضح^٤ .

واحتجت فاطمة عليها السلام وأورد هذا الاحتجاج المقري الشافعي بسند عن فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر عليه السلام قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي ، حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين . حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت النبي عن فاطمة عليها السلام قالت : أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم ، من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ وقوله صلى الله عليه وسلم : أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام ؟^٥ .

(١) يوسف : ٣٣ .

(٢) الشعراء : ٢١ .

(٣) الأعراف : ١٥٠ .

(٤) الطرائف ، ج ٢ ، ص ١٣٠ . في المخطوط ص ١٧٩ - ١٨٠ . وجاء في نهج الحق للعلامة الحلبي ، ص ٢٢٨ .

(٥) أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب : ١٢٩ .

ولا يشك أحد في خطب وأقوال الأئمة المعصومين واحتجاجهم بذلك المنطق الذي لا يعرف إلا منهم ، قال الحسن عليه السلام : " أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبي ، وأنا ابن الوصي " ^١ .

ومن خطبة للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء قوله : " أما بعد فانسيوني فانظروا من أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ، ألسنت ابن بنت نبيكم ؟ وابن وصيه وابن عمه ؟ وأول القوم اسلاماً ؟ " ^٢ .

ويرد تساؤل على السنة المشككين من المخالفين هو أن النبي صلى الله عليه وآله إن كان نص على علي عليه السلام فلم لم يقع الاحتجاج عند احتدام الخصام في أمر البيعة في سقيفة بني ساعدة ؟ .

الرد إنه عليه السلام احتج بالنص وكتب هذا الاحتجاج كثير من المؤرخين والرواة ، فقد روى ابن قتيبة : وخرج علي (عليه السلام) يحمل فاطمة (عليها السلام) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصر فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به فيقول علي (عليه السلام) : أفكنت أدع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيته لم أدفنه واخرج أنزع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة (عليها السلام) : " ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسبهم وطالبهم " ^٣ .

وقال ابن قتيبة: وإن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي (عليه السلام) فبعث إليهم عمر ف جاء فناداهم وهم في دار علي "عليه السلام" فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها فقبل له: يا أبا حفص إن فاطمة فيها؟ فقال: وإن! فخرجوا فبايعوا إلا علياً "عليه السلام" ثم وقفت فاطمة (عليها السلام) على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله "صلى الله عليه وآله" جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً. فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال أبو بكر لقتنذ وهو مولى له: اذهب فإدع لي علياً. قال: فذهب إلى علي "عليه السلام" فقال له ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال علي (عليه السلام) : لسريع ما كذبتم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرجع فأبلغ الرسالة. قال: فبكى أبو بكر

(١) الإمامة والسياسة : ١٤٦/٩ .

(٢) تاريخ الطبري : ١٣٨ /٢ .

(٣) الامامة والسياسة : ٣٠ .

طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة ، فقال أبو بكر لقفذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به، فرفع علي (عليه السلام) صوته فقال: سبحان الله؟ لقد إدعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها إنصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم افعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسول الله^(١) قال عمر: أمّا عبد الله فنعم وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا إكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله "صلى الله عليه وآله" يصيح ويبكي وينادي: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً "عليه السلام" فكلماه، فادخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله "صلى الله عليه وآله" أحب إليّ من قرابتي وانك لأحب إليّ من عائشة إبنتي، ولو وددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، ألا وأني سمعت أباك رسول الله "صلى الله عليه وآله" يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، فقالت: رأيتهما إن حدثتما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله "صلى الله عليه وآله" يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي (صلى الله عليه وآله) لأشكونكما إليه ، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ، ثم إنتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهد،

(١) ذكرت حادثة السقيفة والهجوم على بيت فاطمة "ع" مفصلة في كتاب سليم بن قيس الهلالي ، وهو أول مصنف عقائدي حديثي تأريخي وصل إلينا من القرن الأول الهجري للتابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي (٢ قبل الهجرة . ٧٦ هجرية) من خواص أصحاب أمير المؤمنين والحسنين وزين العابدين والباقر "ع".

وهي تقول: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصلها ^١ .

وروى المسعودي ما يثبت احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام أيام السقيفة قال : إن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه صار إلى أمير المؤمنين وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : امدد يدك بأبيك ، فقال : " ومن يطلب هذا الأمر ، ومن يصلح له غيرنا " ، وصار إليه ناس من المسلمين فأبى واختلف المهاجرون والأنصار ، فقال قوم من المهاجرين : سمعنا رسول الله يقول الخلافة في قريش ، فسلمت الأنصار لقريش بعد أن ديس سعد بن عبادة ووطأوا بطنه ، وباع عمر بن الخطاب أبابكر ، وصفق على يديه ، ثم بايعه قوم ممن قدموا المدينة ذلك الوقت من الأعراب والمؤلفة قلوبهم ، وتابعهم على ذلك غيرهم ، واتصل الخبر بأمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتحنيطه وتكفينه وتجهيزه ودفنه بعد الصلاة عليه مع من حضر من بني هاشم وقوم من صحابته مثل سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وأبي بن كعب وجماعة نحو أربعين رجلاً ، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن كانت الإمامة في قريش فأنا أحق قريش بها ، وإن لا تكن في قريش فالأنصار على دعواهم " ، ثم اعتزلهم ودخل بيته ، فأقام فيه ومن اتبعه من المسلمين وقال : " إن لي في خمسة من النبيين أسوة ، نوح إذ قال (رب إني مغلوب فانتصر) ^٢ ، وإبراهيم إذ قال (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) ^٣ ، ولوطاً إذ قال لقومه : (لو أن لي قوة أو آوي إلى ركنٍ شديد) ^٤ ، وموسى إذ قال : (ففرت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين) ^٥ ، وهارون إذ قال : (يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ^٦ ، ثم ألقى علي القرآن ، وخرج إلى الناس ، وقد حمله في إزارمه ، وهو ينط من تحته فقال لهم : " هذا كتاب الله قد ألقته كما أمرني وأوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله كما أنزل " ، فقال له بعضهم : اتركه وامض ، فقال لهم : " إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لكم إنني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فإن قبلتموه فاقبلوني معه أحكم بينكم

(١) الإمامة والسياسة، ص ٣١٠.٣٠.

(٢) القمر : ١٠ .

(٣) مريم : ٤٨ .

(٤) هود : ٥٢ .

(٥) الشعراء : ٢١ .

(٦) الأعراف : ١٥٠ .

بما فيه من أحكام الله " ، فقالوا : لا حاجة لنا فيه ولا فيك ، فانصرف به معك ، لا تفارقه ولا يفارقك ، فانصرف عنهم أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوجهوا إلى منزله فهجموا عليه ، وأحرقوا بابه ، واستخرجوه منه كرهاً ، وضغطوا سيدة النساء بالبواب حتى أسقطت محسناً ، وأخذوه بالبيعة فامتنع ، وقال : لا أفعل ، فقالوا : نقتلك ، فقال : " إن تقتلوني فإنني عبد الله وأخو رسوله " ، وبسطوا يده فقبضها ، وعسر عليهم فتحها فمسحوا عليها وهي مضمومة ، ثم لقي أمير المؤمنين عليه السلام بعد هذا الفعل بأيام أحد القوم فناشده الله وذكره بأيام الله ، وقال له : " هل لك أن أجمع بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يأمرك وينهاك ؟ " ، فقال له : نعم ، فخرجا إلى مسجد قبا ، فأراه رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً فيه فقال له : " على هذا عاهدتموني به في تسليم الأمر إلى علي وهو أمير المؤمنين ، فرجع وقد هم بتسليم الأمر إليه ، فمنعه صاحبه من ذلك ، فقال : هذا سحر مبين معروف من سحر بني هاشم ^١ .

واوضح ذلك أبو القاسم البجلي وتلامذته من المعتزلة قائلًا : لو نازع علي عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّ سيفه لحكمننا بهلاك كل من خالفه وتقدّم عليه ، كما حكمننا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ، ولكنّه مالك الأمر وصاحب الخلافة ، إذا طلبها وجب علينا القول بتسويق من ينازعه فيها ، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها ، وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنّه قال : " علي مع الحق والحق مع علي ، يدور معه حيثما دار " ، وقال له غير مرّة : " حريك حربي وسلمك سلمتي " ^٢ .

(١) اثبات الوصية : ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٩٧/٢ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة (المختار من كلام الإمام علي عليه السلام وخطبه التي جمعها ووضعها الشريف الرضي)، تحقيق حسين الأعلمي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٨م .
٣. ابن أبي عاصم، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، (ت ٢٨٧هـ)، السنة، المكتب الاسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ/١٩٩٣م .
٤. ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم الجزري، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م).
٥. ابن البطريق، يحيى بن الحسن بن الحسين شمس الدين الأسدي الحلبي، (ت ٦٠٠هـ)، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ .
٦. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، (ت : ٧٢٨هـ)، مجموعة الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
٧. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت ٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

٨. ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، (ت ٨٥٢) ،
الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض
، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ).
٩. ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (ت: ٨٥٢ هـ) فتح
الباري شرح صحيح البخاري ، تصحيح : محب الدين الخطيب، دار المعرفة ، بيروت،
١٣٧٩ هـ .
١٠. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية
في التاريخ ، تحقيق علي شيري ، ط١ ، (مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،
١٩٨٨ م) .
١١. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد،
(ت: ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب
العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
١٢. ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد ، (ت ٤٦٣ هـ) ، (الاستيعاب في
اسماء الأصحاب ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢ م) .
١٣. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة
دمشق، تحقيق : علي شيري، (دار الفكر، بيروت ، ١٤١٥ هـ).
١٤. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦ هـ)
، الإمامة والسياسة ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

١٥. ابن طاووس ، السيد أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني ، (ت ٦٦٤ هـ) :
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، تحقيق : مهدي رجائي ، مؤسسة البلاغ ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، تحقيق : السيد علي عاشور ، مؤسسة الأعلمي ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- كشف المحجة لثمره المهجة ، تحقيق : الشيخ محمد الحسون ، مركز النشر للإعلام الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ . نهج الحق ،
- الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ، ط ٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .
- اليقين باختصاص مولانا علي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين ، ط ١ ، مؤسسة دار الكتاب ، قم ، ١٤١٣ هـ .
١٦. ابن طاووس ، جمال الدين أبو الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلبي ، (ت ٦٧٧ هـ) ، عين العبرة في غبن العترة ، دار الشهاب ، قم ، د . ت .
١٧. ابن شهر آشوب ، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ، ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني ، (ت ٥٨٨ هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ هـ .
١٨. ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت ٢٧٥ هـ) ، سنن ابن ماجة ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، (دار الفكر ، بيروت) .
١٩. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

٢٠. أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، ت ٧٣٢ ، تاريخ أبي الفداء " المختصر في أخبار البشر " ، دار المعرفة ، بيروت ، بلا . ت .
٢١. أبو نعيم الأصفهاني ، أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصفهاني ، (ت ٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ .
٢٢. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ، (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، (ط ١ ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) .
٢٣. البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، (ت ٦٨٥هـ) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد المرعشلي ، ط ١ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .
٢٤. البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجدي الخراساني أبو بكر البيهقي ، (ت: ٤٥٨هـ) ، معرفة السنن والآثار، تحقيق سيد كسروي حسن ، ، ط ١، دار قتيبة، بيروت، ١٤١٢ هـ .
٢٥. الحاكم الحسكاني ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسان القرشي العامري النيسابوري ، (ت ٤٩٠هـ) ، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، طهران ، ١٤١١ هـ .
٢٦. الحاكم النيسابوري ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، (ت ٤٠٥ هـ) ، المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .

٢٧. الحموي ، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله الحموي الشافعي ، (ت ٧٣٠ هـ) ، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام ، ط ١ ، (مؤسسة المحمودي ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١٤١٦ هـ) .
٢٨. الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي ، ت ٤٨٨ هـ ، الجمع بين الصحيحين ، تحقيق : د. علي حسين البواب ، ط ١ ، دار ابن حزم ، الرياض ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
٢٩. الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت ، (ت ٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ .
٣٠. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ / ١٣٧٤ م) :
- تذكرة الحفاظ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٨٩ م .
 - سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .
 - ميزان الاعتدال ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .
٣١. الألباني ، محمد بن ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
٣٢. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، (ت ٩١١ هـ) :
- الدر المنثور في التفسير المأثور ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ) .
 - المحاضرات والمحاورات ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ .

٣٣. الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي ،
(ت: ٤٠٦هـ) ، خصائص الأئمة ، ت : محمد هادي الأميني ، الاستانة الرضوية
المقدسة ، ١٤٠٦هـ .
٣٤. الشريف المرتضى ، علي بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي ،
(ت ٤٣٦هـ) ، الشافي في الإمامة ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .
٣٥. الشهيد التستري ، القاضي نور الله المرعشي الحسيني التستري ، (ت ١٠١٩هـ)
، إحقاق الحق وازهاق الباطل ، ط١ ، مكتبة آية الله المرعشي ، قم المقدسة ، د. ت .
٣٦. الغزالي ، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري ، (ت ٥٠٥هـ) ، منهاج
العابدين إلى جنة رب العالمين ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
٣٧. الزبيدي ، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي
الزبيدي الحنفي ، (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : علي
شيري ، ط٤ ، دار الفكر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
٣٨. الزمخشري ، محمود بن عمرو بن محمد ، (ت ٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق
غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ضبط النصوص والمراجعة : عبد
الرزاق مهدي ، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) .
٣٩. ابن عدي ، أبو أحمد بن عدي الجرجاني ، (ت ٣٦٥هـ) ، الكامل في ضعفاء
الرجال ، تحقيق : عادل أحمد محمد معوض ، و عبد الفتاح أبو سنة ، دار الكتب
العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
٤٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ) :

٤١. - تأريخ الأمم والملوك المعروف بـ (تاريخ الطبري)، ط١، دار الأميرة ، بيروت، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .
- جامع البيان " تفسير الطبري " ، ضبطه : صدقي جميل العطر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ .
٤٢. - القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٤٣. - القندوزي الحنفي، الشيخ سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، (دار الأسوة ، بيروت) .
٤٤. - المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، (ت ٢٨٦هـ) ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٤١هـ / ١٩٩٧م .
٤٥. - المعتزلي ، القاضي عبد الجبار ، (ت : ٤١٥) ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٢م .
٤٦. - النيسابوري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، (ت ٢٦١هـ) ، صحيح مسلم ، (دار احياء التراث الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ) .
٤٧. - اليقوبي، أحمد بن اسحاق بن يعقوب بن وهب بن واضح اليقوبي البغدادي، (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليقوبي ، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٩٣م .

المصادر الحديثة

١. الألباني ، محمد بن ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقها وفوائدها ، مكتبة المعارف ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
٢. باقر الصدر ، محمد ، نشأة الشيعة والتشيع ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
٣. الشيرازي ، محمد الموسوي الشيرازي ، البدر الأزهر في مناظرات ليالي بيشاور ، تحقيق ك حسين الموسوي الفالي ، برهيزكار ن قم المقدسة ، ط ٤ ، ١٣٨٦ هـ .
٤. فضل الله ، عبد المحسن ، الإسلام وأسس التشريع ، بحث مقارن ، ط ٢ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
٥. القمي ، عباس ، الكنى والألقاب ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤٢٩ هـ .
٦. عبد الحميد ، صائب ، منهج في الانتماء المذهبي ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ايران ، ط ٥ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
٧. الطباطبائي، السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت ١٤٠٢ هـ)، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح حسين الأعلمي، ط ١، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧ م).

المحتويات

المقدمة ٤-٣

الفصل الأول

تناقض الروايات مقابل النصوص الصريحة

المبحث الأول

١. اختلاف وتناقض الروايات بين الإنكار والإثبات ٦
٢. تصحيح الألباني لما انكره ابن تيمية ٩
٣. تحامل الألباني على الشيعة وأئمتهم ١٠
٤. أحاديث في وصية النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام وفي تركه الوصية ١٥
٥. افتراءات وتناقضات الذهبي وابن حجر ٢٢

المبحث الثاني

تنزيه النبي صلى الله عليه وآله من اهمال أمر العباد ٢٦

الفصل الثاني

البعد الرسالي العظيم للوصية والسعي لتغيبها .

المبحث الأول

تكرار نصوص الوصية ومحاولة تحريفها

١. دلالة حديث المنزلة ودفع شبهات المخالفين ٣٢
٢. حديث الثقلين ٤٣
٣. آية البلاغ وحديث الغدير ٤٦
٤. زيادة في حديث لم تروى في الصحيحين ٥٤
٥. تعقيب على فرية ترك النبي صلى الله عليه وآله للوصية ٥٥
٦. خطبته صلى الله عليه وآله بعد الصلاة وفيها النص بالوصية ٥٦

المبحث الثاني

١. محاولة التأويل مقابل دلائل النص الجلية ٥٧
٢. اشتهار لقب الوصي في الأحاديث ٦٢
٣. آية الولاية والإمامة العامة ٦٦

المبحث الثالث

مصاديق تغييب الوصية وإنكارها

١. منع النبي صلى الله عليه وآله من كتابة وصيته ٧٣
٢. منع الحديث النبوي ٧٨

الفصل الثالث

نظام الشورى ومخالفة النص

المبحث الأول

١. الانقلاب على النص ٨٧
٢. انحراف وعدم كفاءة خلفاء الشورى ٨٩

المبحث الثاني

١. استشراف النبي صلى الله عليه وآله لمخاطر نظام الشورى ٩٨

المحتويات

٢. النص ضمان لاستمرارية الدعوة ١٠١

الفصل الرابع

الاحتجاج بالنص وإقرار المخالفين بالنص

المبحث الأول : إقرار المخالفين وعلماء المذاهب الإسلامية بالنص ١٠٤

المبحث الثاني : احتجاج ومناشدة أمير المؤمنين عليه السلام ١١٥